تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

الحمد التعبدي بين مفهوم العبيد ومفهوم العباد

د. فريد الأنصاري رحمه الله تعالى ص : 5

من قوانين القرآن الكريم: قانون الفرقان

د. محمد راتب النابلسي ص : 4

المحجة

البريد الإلكتروني : almahajjafes@gmail.com

■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

13 محرم الحرام 1432هـ - 19 دجنبر 2010م

جامعة نصف شهرية

الثمن : 3 دراهم

العدد : 349

مع حدث الهجرة

في رحاب الهجرة النبوية

د. عبد العلي حجيج ص : 2

الهجرة التي نريد

ذ. عبد الإله التازي ص : 9

الهجرة النبوية :دروس وعبر

ذ. عبد اللطيف احميد الوغلاني ص : 8

من قضايا التربية والسلوك

مفهوم القيم في الإسلام

ذ. عبد المجيد بالبصير ص : 10

من مقتضيات الإيمان

ذ. إلياس بناني ص : 13

متطلبات تربوية في زمن العولمة..

ذ. محمد بوهو ص : 11

من شؤون المسلمين

أمة اقرأ لا تقرأ...

ذ. عبد القادر لوكيلي ص : 13

بين المغرب والجزائر

ذ. أحمد الأشهب ص : 15

عصر الذرة والتفكيك والاستنساخ!!

د. الطيب الوزاني ص : 13

في رحاب الهجرة النبوية

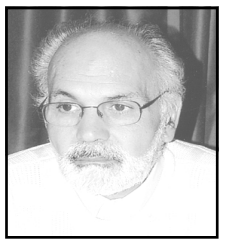

د. عبد العلي حجيج

إن الله سبحانه الذي سخر الأرض للإنسان ودعاه إلى طاعته وعبادته فيها وقت لكثير من أركان دينه وشعائره بأوقات لأدائها. وأوقات الأرض تؤخذ إما من دوران الأرض حول الشمس أو من دورانها حول القمر. فوقت الدين أداء الصلوات المفروضة ونوافلها بأوقات لها علاقة بالشمس نظراً للتحول الملحوظ الذي يحدث نتيجة سطوع أشعة الشمس على الأرض فكلما حدث تحول واضح تكون هناك صلاة مفروضة. وهذا التحول ليس ثابتا على الأرض كلها وإنما هو في تحرك مستمر نتيجة كروية الأرض مما يجعل وجوب الصلاة المفروضة لا يتوقف في أي وقت على سطح الأرض ليعبد الله سبحانه باستمرار بالصلاة له التي هي عمود الدين وأفضل العبادات والتي فيها الدعاء الذي هو مخ العبادة ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ٤إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾(الإسراء : 78) ووقت الدين الصيام والحج وعيدي الفطر والأضحى بأوقات متعلقة بالقمر ورؤية هلاله ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾(البقرة : 189) يقول القرطبي : "﴿قل هي مواقيت للناس والحج﴾ تبيين لوجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه وهو زوال الإشكال في الآجال والمعاملات والأيمان والحج والعدد والصوم والفطر ومدة الحمل والإجارات والأكرية إلى غير ذلك من مصالح العباد"(الجامع لأحكام القرآن 242/2).

وهناك فرق بين الشمس والقمر فالشمس بعيدة عن الأرض والنظر إليها والتحديق فيها صعب ولكن الإنسان ينظر إلى أثر ضوئها على الأرض وإلى الظل الذي ينشأ عما هو قائم فوق الأرض وإلى الليل والنهار. بينما القمر قريب من الأرض ميسر بما هو عليه في مستوى ضوئه أن تراه أعين الناس ثم إن في القمر حكمة بالغة وعبرة جليلة لمن استوعبها ووعاها وهي أنه بظهوره هلالا رقيقا وأخذه في النمو يوما بعد يوم إلى أن يستكمل دائرته بدراً يكون فيها أكثر جمالا وإشعاعا ثم تبدأ دائرته في التناقص يوما بعد يوم إلى أن يصير هلالا في الأيام الأخيرة القريبة من نهاية الشهر ثم يختفي عن الأنظار مدة إلى أن يظهر مع بداية الشهر الموالي هلالا. دورته كل شهر على هذا المظهر تذكر الإنسان باستمرار وتوحي له بما اقتضته مشيئة الله سبحانه وحكمته فيما يتعلق بحياة وأعمار عموم المخلوقات ومنها الإنسان الذي يبدأ خلقه أولا في الرحم وهي مرحلة الخفاء يبدأ علقا ثم مضغة ثم عظاما ثم تُكسى العظام لحما إلى أن يكتمل جنينا ثم يأذن الله بخروجه من الرحم رضيعا ويبدأ مرحلة نمو جديدة إلى أن يصل مرحلة النضج الكامل والمظهر الرائع ثم تبدأ تظهر عليه أمارات النقص والضعف شيئا فشيئا إلى أن يختفي.

وقد ترك هذا الاعتبار الديني لدورة القمر الشهرية أثراً في نفوس الصحابة الكرام. تحدثنا الأخبار أن عمر رضي الله عنه الذي برزت شخصيته بروزاً لافتا للنظر بعدله وفتوحاته وإنشاء مدن كالبصرة والكوفة وعنايته برعاياه خصوصا ذوي الحاجات ووقوفه عند حدود الله وتنظيمه أمور الدواوين المشرفة على تسيير شؤون الدولة، نظر في شأن ما يكتب في الدواوين وما يرسل وما يقع من حوادث وأن ذلك يحتاج إلى تاريخ فعرض أمر ذلك على الناس مستشيرا فأشاروا عليه بوضع تاريخ فسأل من أي يوم نكتب؟ فقال علي رضي الله عنه من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك.

فتم الاختيار على أن يكون بدء السنة الهجرية من شهر محرم الحرام، وإن كانت بداية الهجرة في أول ربيع الأول وقد شرع في العمل بالتاريخ الهجري منذ السنة السابعة عشرة من الهجرة ولعل اختيار شهر المحرم بداية للسنة يعود إلى أنه أحد الأشهر الحرم الأربعة التي أشارت إليها الآية الكريمة ﴿إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض﴾(التوبة : 36) "لأن المحرم شهر الله سمته العرب بهذا الاسم لأنهم كانوا لا يشهدون فيه القتال وأضيف إلى الله إعظاما له كما قيل للكعبة بيت الله"(اللسان 121/12).

وقد أصبح من عادات المسلمين أن تغمر الفرحة قلوبهم والبسمة وجوههم وهم يستقبلون طلعة العام الهجري الجديد مع فاتح شهر المحرم من كل سنة ويتبادلون التهاني والدعوات بأن يبارك الله للمسلمين فرادى وجماعات شعوبا وأمما هذه السنة الجديدة وأن يجعلها سنة خير ويمن وعزة وسؤدد للإسلام والمسلمين وتقام الحلقات والمحاضرات ودروس الوعظ والتذكير بهذه المناسبة التي تهم جميع المسلمين، إنها مناسبة يستعيد فيها المسلمون بذاكرتهم وقلوبهم وألسنتهم حدثا عظيما أعز الله به رسوله الكريم ﷺ وأتباعه وأعز به دينه وكان له شأن كبير في قيام دولة الإسلام وانتشاره في الأرض ودخول الناس فيه أفواجا، إنها مناسبة يستعرض المسلمون فيها وقائع وأحداث هجرة الرسول ﷺ وصحابته من مكة إلى المدينة إنها هجرة الأرواح الطاهرة والقلوب الطيبة والعقول النيرة والأجسام الصابرة تاركة وراءها الديار والأموال والأهل مُنصاعة وملبية لأمر الله ورسوله راغبة في أن تعيش حرة عزيزة آمنة على نفسها وإيمانها بدينها، تريد للحق أن ينتشر وأن يسود، وللخير أن يعم الناس، تريد العدل لا الظلم، تريد المساواة لا المحاباة، تريد الحرية، تريد الصدق لا الكذب والزيف، تريد التعاون والرحمة لا التقاطع والقسوة، تريد العزة والسيادة للأفراد والجماعة لا الذل والهوان، تريد العلم لا الجهل، تريد بناء الإنسان والحضارة لا العجز والكسل والفقر تريد أن تجتمع وتتوحد مع البشر -وهي وهم جميعا خلق الله- على المبادئ الإنسانية والقيم النبيلة لا أن تفترق وتتشتت على أساس العنصريات والعرقيات.

لقد نصر الله سبحانه الإسلام بهجرة رسوله الكريم وصحابته إلى المدينة فعلا شأنه وترسخ وجوده وتحقق توحيد الله سبحانه بها إذ بحكمة الله سبحانه وتدبيره عاش الرسول ﷺ بقية حياته بالمدينة ودفن بها كما دفن كبار الصحابة وأصبح المسلم في حجه إلى مكة يجد فيها بيت الله فقط يخلص له العبادة ويوحده التوحيد الكامل الخالص فإليه القصد وحده يسبح ويكبر ويهلل ويحمد. وبعد أن يتم الحاج أو المعتمر مناسكه ينتقل إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول والتسليم عليه، ثم إن المسلمين في جميع بقاع العالم قبلتهم في صلاتهم إلى الكعبة لا إلى غيرها وهي منتصبة وسط المسجد الحرام.

إن الجيل الأول من الصحابة الذين هاجروا من مكة إلى المدينة والذين استقبلوهم من أهل الصدق والإيمان بالمدينة والذين أثنى عليهم القرآن الكريم والرسول ﷺ.

من مصلحتنا وواجبنا اليوم أن نتخذهم قدوة لنا فقد كوّنوا جميعهم مجتمعا مسلما متماسكا وراقيا تحققت فيه الأخوة الحقة الهادفة إلى نشر العقيدة الصحيحة وحماية للإيمان بالله المعبود بحق الخالق لكل الخلق الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، العقيدة التي يحصل بها الاطمئنان على النفس في الدنيا والآخرة، وإلى بناء مجتمع فاضل طاهر يصون كرامة الإنسان وحريته ويحميه من أي شكل من أشكال الظلم ويدرأ عنه أي مظهر من مظاهر الفساد. لقد كونوا رضي الله عنهم بتقواهم وصبرهم وشهامتهم وبطولتهم وبمحبتهم لخق الله ورحمتهم بهم وبزهدهم في الدنيا وإقبالهم على الآخرة، مجتمعا يعطي للعلم النافع حقه وللعدل بين الناس مكانته مجتمعا تنتشر فيه الرحمة والاحسان إلى الأرامل والأيتام والمحتاجين.

وإنك أيها المسلم عندما يستقبلك أخوك والبسمة تعلو وجهه فيهنئك بحلول العام الجديد ويدعو لك ولأهلك ولجميع المسلمين فمعنى ذلك أنه يهنئك بأن أنعم الله عليك وأكرمك بأن تعيش وتحيا مع بداية هذا العام وقد مر بك ما سبقه من أعوام في حياتك تستعيد شريطها في ذاكرتك بما فيها من صواب وخطأ من حسنات وسيئات وتنظر إلى مستقبلك في هذا العام الجديد لتجدد فيه عزمك على أن تكون طاعتك لربك وخالقك هي مفتاح أخلاقك وسلوكك وغاياتك وأهدافك في رعاية أبنائك والعناية بأهلك وذويك وفي العمل على تربيتهم وتأهيلهم ليكونوا وأنت معهم من عباد الله الصالحين والساعين إلى فعل الخيرات وأن تفكر في أمر الإسلام والمسلمين وأن يكون ذلك من بين ما تهتم به في حياتك فأنت فرد في جماعة بك تقوى الجماعة وأنت قوي بالجماعة فالإسلام في كل عصر هو بناء وكل مسلم لبنة في هذا البناء به يقوى ويصمد وبالإسلام يعز ويرشد، وفي الحديث النبوي الشريف «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

عبرة

كان إبراهيم بن حرب رحمه الله محدثا من أقران الإمام أحمد رحمه الله ومرة سمع أن بعض طلابه يفضلونه على الإمام أحمد، فلما جلسوا إليه ليحدثهم قال لهم : ظلمتموني إذ فضلتموني على رجل لا أشبهه ولا أبلغه في شيء من أحواله، والله لا أحدثكم بعد اليوم.

سبحان الملك!! ما أعظمها من نفوس كانت بين جنبي أولئك القوم، يأبى أحدهم أن يفضل على أخيه، ولا يرى لنفسه حقا ولا يشهد لها فضلا، بل يرى نفسه دون الناس، وربما كان عالما تشد إليه الرحال، أو عابدا يستسقى بدعائه، ولكن

ملء السنابل تنحني بتواضع
والفارغات رؤوسهن شوامخ

إنه التواضع وذلة النفس، وهذان من لوازم السلوك إلى الله عز وجل، كيف يدخل على الملك قلب فيه ذرة من كبر، ونفس غارقة في لجة العجب، إنما يدخل على الله قلب منكسر ونفس ذليلة حقيرة، ورضي الله عن عائشة الصديقة قالت بعد أن رميت في عرضها : وكنت في نفسي أحقر من أن ينزل في شأني وحي يتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

فلما كانت كذلك، رفع الله شأنها، وأنزل فيها قرآنا يتلى، فكلما كان العبد في نفسه أحقر، كان عند الله بسمو المنزلة أجدر.

قيل للماء : ما بالك تنزل أولا إلى أسفل الشجرة وعروقها ثم تصعد إلى أغصانها وأعْلى فنن فيها؟؟! قال : من تواضع لله رفعه، أما المتكبر فهيهات أن يذوق طعم الوصول أو يرى بعيني قلبيه خيام الأحباب، أو يشاهد آيات الجلال والجمال قال الملك جل في علاه ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون﴾ وما رأى النبي ما رأى ليلة المعراج من الآيات ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ إلا لأنه تواضع واختار أن يكون نبيا عبدا، لا نبيا ملكا كما ورد بذلك الأثر، فتواضع أخي وسيأتيك الخبر، فاللهم ارزقنا التواضع وجنبنا الكبر، آمين.

ذ. منير مغراوي

جريدة المحجة
■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي
■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

■ كرزاي في فورة غضب يقول : لدي ثلاثة أعداء : طالبان، وأمريكا والمجتمع الدولي... وإن كان علي الاختيار إلى أي جانب سأركن، فسأختار طالبان...
● الشرق الأوسط ع 11705 بتاريخ 2010/12/15

■ رتيشارد هولبروك المبعوث الأمريكي الخاص بأفغانستان وباكستان الذي يوصف بالمحارب من أجل السلام يصرح لطبيبه الباكستاني "يجب إنهاء هذه الحرب في أفغانستان".
● الشرق الأوسط ع 11705

■ بقاء نوري المالكي في رئاسة وزراء العراق يؤكد التفوق الإيراني على و.م.أ في التحكم في مصير العراق، وأن العراق يبتعد أكثر من واشنطن وأصبحت طهران هي المستفيد الرئيسي من الغزو الأمريكي للعراق
● صحيفة كريستيان ساينس مونتور، عن جريدة الأمان 2010/12/4

■ الضغط الضريبي في المغرب يفوق الأرقام الرسمية ليقارب 40٪ ونسبة الاقتطاعات الإجبارية على النسيج الإنتاجي الخاضع للضريبة يتم تخفيضها بشكل مصطنع. ● المساء 2010/12/14

■ قادة الأجهزة الأمنية أركان الحكومة الخفية في العالم العربي؟! ● فهمي هويدي المساء 2010/12/14

■ خمسة أشهر التي قضيتها في سجن الاحتلال كانت عبارة عن جنة عشتها خلوة مع الله.
● الشيخ رائد صلاح : المساء 2010/12/14

من يوقف غول التنصير في موريتانيا؟!

نشرت مجلة المجتمع الكويتية دراسة موسعة كشفت فيها توسع النشاط التنصيري في موريتانيا عنونت مقاله :من يوقف غول التنصير في موريتانيا؟! ومما جاء فيه:

ازدادت أنشطة المنصّرين في موريتانيا بشكل لافت خلال السنوات الخمس الأخيرة، مستفيدين من انشغال النُّخَب السياسية بالصراع على السلطة، وارتفاع معدلات الفقر بالبلاد، وغياب الرقابة الأمنية على أنشطة الكنيسة؛ ليخترقوا بصمت جدار المجتمع المتديِّن، مستفيدين من بعض ضعاف النفوس الذين ساعدوهم في نشر أفكارهم الخطيرة بين بعض فئات المجتمع، خصوصاً في العاصمة نواكشوط وبعض مدن الضفة الجنوبية

ويقول القس المثير للجدل بموريتانيا: لقد كسبت كنيستنا الكاثوليكية و"كاريتاس" ثقة كبيرة لدى السلطات الأمنية والحكومية، ولذلك فإن بعثات الكنيسة ومؤسسة كاريتاس تجد الترحيب والأبواب مفتوحة في كل الأماكن في البلاد.

تركيا دولة لا غنى عنها !

قال رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان إن تركيا وضعت بصمتها الدامغة على العقد الأول من الألفية الثالثة بوصفها دولة مؤثرة فاعلة من حيث موقعها الجغرافي والسياسي، استنادا على ما تمتلكه من تراث تاريخي غني وعمق ثقافي وشعب متعلم يافع وما تتمتع به من ديمقراطية قوية واقتصاد متنام وسياسة خارجية بناءة.

وفي مقال نشرته له "بروجيكت سنديكيت" (وهي مشروع منظمة دولية غير ربحية مؤلفة من اتحاد للصحف وتعنى بالتحليلات ومقالات الرأي التي يكتبها الخبراء والناشطون، ومقرها في براغ بجمهورية التشيك)، أضاف أردوغان أن ما تمتلكه تركيا من المقومات المختلفة والثرية يجعل منها دولة متميزة في عالم يتشكل وفق عولمة بشكل سريع.

ويمكن لتركيا عبر استغلالها لمقوماتها المختلفة أن تسهم في استقرار المنطقة برمتها وفي إحلال السلام والعمل نحو نظام عالمي يسوده العدل والمساواة والشفافية، وباعتبارها قوة صاعدة فإنها ستواصل إدراكها بضرورة إسهامها في السلام العالمي.

وقال أردوغان إن الحرب الباردة رافقتها ظروف من الفوضى والاضطراب والحروب الأهلية والاستعمار والتسلح النووي والاتجار بالبشر ومشاكل أخرى كبيرة. (وكالة الأخبار الإسلامية)

"فلسطينية الشيوخ الأمريكي" يدعو لحملة دبلوماسية لإقناع العالم بعدم الاعتراف بدولة فلسطين

دعا مجلس الشيوخ الأمريكي، الذي يعتبر المجلس الأعلى في الولايات المتحدة، إدارة الرئيس باراك أوباما إلى الشروع في حملة دبلوماسية "لإقناع العالم بعدم الاعتراف بالدولة الفلسطينية، في حال تم عرضها على مجلس الأمن الدولي".

وأكد المجلس، في اجتماع عقده في ساعة مبكرة من صباح اليوم الخميس، معارضته الشديدة لأي قرار قد يصدر عن مجلس الأمن للاعتراف بالدولة الفلسطينية، وقرر استخدام حق النقض "الفيتو" في حال تم طرح الموضوع على المجلس، مشدداً على "عدم اعتراف الولايات المتحدة بالدولة الفلسطينية إذا ما أعلن عنها من جانب واحد، وبدون موافقة إسرائيل".

من جانبه؛ قال رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي، هوارد برمان، إن الولايات المتحدة تؤيد المفاوضات بين الفلسطينيين والصهاينة، ولكنها ستشجب أي محاولة للاعتراف بالدولة الفلسطينية من جانب واحد، وتابع: "السلام يجب أن يكون نتيجة للمفاوضات المباشرة بين الطرفين".

وأضاف برمان أنه "يتوجب على الإدارة الأمريكية القيام بحملة دبلوماسية لإقناع دول العالم بعدم الاعتراف بالدولة الفلسطينية"، داعياً رئيس السلطة محمود عباس بالعودة إلى المفاوضات المباشرة مع الكيان الصهيوني.

المصدر: المركز الفلسطيني للإعلام

ويكيليكس: الهند مارست تعذيباً منهجياً ضد مسلمي كشمير

كشفت وثيقة دبلوماسية أمريكية سربها موقع ويكيليكس أن سلطات الاحتلال الهندية مارست تعذيبا منهجيا للمعتقلين المسلمين في إقليم كشمير، وأن خلافا وقع بين الصليب الأحمر الدولي والحكومة الهندية حول معاملة السجناء.

وتستند الوثيقة التي أعدتها السفارة الأميركية في نيودلهي في الأول من أبريل 2006 إلى معلومات قدمها ممثلو اللجنة الدولية للصليب لدبلوماسيين أمريكيين بعد إجراء 1491 مقابلة مع موقوفين مسلمين سابقين بين عامي 2002 و2004.

وتؤكد الوثيقة، طبقًا لما نقلته الجزيرة نت، أن استمرار قوات الأمن الهندية في معاملتها السيئة للسجناء خلال الحوار بين الصليب والحكومة يدل على أن الأخيرة تتغاضى عن عمليات التعذيب.

مفكرة الاسلام

حلاوة الاقتناع بالدين (2)

ب- عُمَيْر بن وهب :

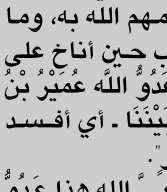

ذ. المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

أشهَدُ أنَّكَ رَسُولُ اللّه، فالحَمْدُ لله الذي هَدَاني للإسْلام

كان أهل مكة يلقّبون عمير بن وهب بـ"شيطان قريش" لما كان يأتيه من الحيل والتآمرات على رسول الله ﷺ، ولدهائه وفطنته وذكائه أرسلتْه قريش في بدر لحَزْرِ(1) وتقدير أصحاب محمد، فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال : ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلا أو ينقصون، ولكن أمهِلُوني حتى أنظر أللقوم كمينٌ أو مددٌ؟ فضرب في الوادي حتى أَبْعَد فلم يَرَ شيئا، فرجع إليهم، فقال : ما وجدت شيئا.

ولكني يا معشر قريش رأيْتُ البَلاَيَا(2) تَحْمِلُ المَنَايَا، نواضحُ يَثْرِبَ تَحْمِلُ الموت النَّاقع(3)، قوم ليس معهم مَنَعَةٌ ولا مَلْجَأٌ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يَقْتُل رجلا منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فروْا رأيَكم، (أي قَدِّرُوا الأمر على ضوء الواقع الذي صَوَّرتُه لكم أحْسن تصوير).

وكادت هذه الصورة التي قدَّمها عمير بن وهْب أن تفُتَّ في عضد قريش لولا أن أبا جهل أفْسَدَ عليهم رأيهم لحكمة لا يَعْلَمها إلا الله تعالى، فكانت موقعة بدر بما هو معروف عند المسلمين .

وكان وَلَدُ عُمير ممَّن أُسر في بدر، فجلس ذات يوم مع صفوان بن أمية في الحِجْر فَتذاكرا في بدر، وأهْلِ القليب - أي الموتى الذين دُفنوا في بئر بدر، ومنهم أبو صفوان أمية بن خلف - فقال صفوان : والله ما في العيش بعدهم خير.

فقال له عمير : صدقتَ والله، لَوْلاَ دَينٌ عليَّ ليس له عندي قضاء، وعيالٌ أخشى عليهم الضَّيعة بَعدي لركبْتُ إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قِبَلهم علةً : ابني أسيرٌ عندهم.

فاغتنم صَفوانُ الفرصة، وقال : عَلَيَّ دَينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي، أواسيهم ما بَقُوا لا يسعُني شيء ويعجزُ عنهم.

قال عمير: فاكتم عني شأني وشأنك، قال صفوان : أفْعَلُ.

ثم أَمَرَ عمير بسيفه فشُحذ له، وسُمَّ - أي وُضع فيه السُّمُّ - ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحا السيف، فقال : "هَذَا الكَلْبُ عَدُوُّ اللَّه عُمَيْرُ بْنُ وَهْب، واللَّه ما جَاءَ إلاَّ لشَرٍّ، وَهُوَ الذي حَرَشَ بَيْنَنَا - أي أفسد وأشعل نار الحرب، وحَزَرَنَا - قَدَّرَنَا - للقوم يوم بَدْرٍ".

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ، فقال : يا نبيَّ الله هذا عَدُوُّ الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال ﷺ : "فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ" فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه، فلَبَّبَهُ بها، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله ﷺ.

فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: "أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ، أُدْنُ يا عُمَيْرُ" فدنا منه ثم قال : أنعمُوا صباحا. فقال ﷺ : "قَدْ أَكْرَمَنَا الله بتَحِيَّة خير منْ تَحِيَّتك يا عُمير، بالسَّلام تحيَّة أَهْل الجَنَّة" "فَمَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيرُ"؟

قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال ﷺ : «فَما بَالُ السَّيْف في عُنُقك؟».

قال : وهَلْ أغْنَتْ عنا شيئاً؟!

قال ﷺ : اصدُقني.

قال : ما جئت إلا لذلك.

قال ﷺ : «بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وصَفْوان في الحجْر فذَكَرْتُما أَصْحابَ القليب، ثم قلتَ لولا دَيْنٌ علي، وعيال عندي، لخرجت حتى أَقتُلَ محمدا، فتحمَّلَ لَكَ صفوانُ بدَيْنك وعِيَالِك، على أن تَقْتُلَني لَهُ، والله حائلٌ بَيْنَكَ وبَيْنَ ذلك».

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك، بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوا لله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للاسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق.

فقال ﷺ: "فَقِّهُوا أَخَاكُمْ في دِينِهِ، واقرئُوه القرآن، وأطلِقُوا له أَسيرَهُ" ففعلوا(4).

1- حزر : حدَس، وخَمَّن، وقدَّر، وخَرَس، فتقول خرَس النخل وحزره قدّر أن به كذا وكذا من قنطار، وحزر جمعاً من الناس قدّر عددهم تخميناً.
2- البلاياج بليّة : وهي الناقة.
3- الموت الناقع : الموت الدائم البالغ الأثر، وسم ناقع : قاتل.
4- انظر سيرة ابن هشام وأصحاب الرسول 420/1- 422، انظر إلى أصحاب الفطر السليمة كيف يقتنعون بمجرد وضوح الحقّ لهم، وهذا عمير انقلب بسرعة من عدوالله ورسوله إلى داعية لله وللرسول وللإسلام، فعلى أمثال هؤلاء ينبغي الحرص والتاني بهم حتى يقتنعوا.

قوانين القرآن الكريم 6

لخبير الجمال الدعوي الدكتور محمد راتب النابلسي

قانون الفرقان

أعده للنشر ذ. عبد المجيد بالبصير

الفرقان نور الله يقذف في قلب المؤمن

...القانون اليوم قانون الفرقان، ولابد من مقدمة؛ الله عز وجل خلق الأكوان ونورها بالقرآن، إذن ﴿الله نور السموات والأرض﴾(النور : 35). أحيانا تشق الطريق وبعدها توضع الشاخصات لتنور لسالكي الطريق دربهم والأخطار التي تحيق بهم؛ ما من عمل يعمله الإنسان إلا وتسبقه رؤية... إن صحت صح العمل وإن فسدت فسد العمل، هذه الرؤية إما أن تكون محصلة تجارب أو محصلة وهْم، أو محصلة رؤية صحيحة تنطلق من منهج الله في الأرض، لذلك فالإنسان بحاجة إلى رؤية صحيحة تكون سببا في صحة عمله، وبالتالي في سلامته و.. سعادته.

قانون الفرقان فيه آية تعد أصلا في هذا الباب، هذه الآية ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ (الأنفال :29) يعني يجعل لكم حالة تفرقون بها بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين ما يجوز وما لا يجوز، بين الجمال والقبح، بين القيم السامية والحاجات الوضيعة؛ إذن هذا التفريق بين الصحيح وبين الآخر غير الصحيح هو من محصلة الرؤية الصحيحة، الآن يمكن أن نسميه نورا يقذف في قلب المؤمن، تؤكده آيات كثيرة، لعل الآية الأولى التي تؤكد هذا النور الذي يقذف في قلب المؤمن، فيرى به الخير خيرا فيتبعه، والشر شرا فيجتنبه، إنه نور الله.

الله عز وجل يقول ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ كلمة... تشير إلى عقد إيماني بين العبد وربه، يعني يا من آمنت بي، يا من آمنت بحكمتي، يا من آمنت بقدرتي، يا من آمنت برحمتي، يا من آمنت بعطائي... **الله عز وجل في القرآن الكريم يخاطب الناس بأصول الدين ﴿ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾(البقرة : 20) ويخاطب ربنا جل جلاله المؤمنين بفروع الدين، هذا آمن بالله.. إلها وربا وخالقا، آمن به مسيرا، آمن به واحدا وكاملا، آمن بأسمائه الحسنى، آمن بصفاته الفضلى، كأن هناك عقدا إيمانيا بين العبد وربه، لذلك خاطب الله المؤمنين بما يقترب من ثلاثمائة آية لأن بينه وبينهم عقدا إيمانيا، بينما لم يخاطب الطرف الآخر إلا بآية واحدة يوم القيامة ﴿ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم﴾(التحريم : 7) إذن حيثما قرأنا كلمة" ياأيها الذين آمنوا" تعني أن كل من آمن بالله وحمله إيمانه على طاعته معني بهذا الخطاب.** فـ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ أطيعوه، وتقوى الله بالمفهوم البسيط القريب طاعته يعني اتقوا معصيته، اتقوا غضبه، اتقوا عقابه.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله﴾ الله عز وجل نجد في قرآنه الكليات، ونجد في سنة النبي ﷺ التفصيلات، الله عز وجل كلف النبي ﷺ أن يبين للناس ما نزل إليهم ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله﴾ الآن ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ كفلين قال علماء التفسير: رحمة في الدنيا ورحمة في الآخرة، هذا تؤكده الآية الكريمة ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾(الرحمان : 45) .

هذا تؤكده آية أخرى ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾(النحل :97) فـ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به﴾(الحديد :27) يتمتع المؤمن... في ضوء هذه الآية برؤية صحيحة، يرى الخير خيرا، يرى الشر شرا، يرى الحق حقا، يرى الباطل باطلا، يرى ما ينبغي رؤية واضحة فيسلكه، ويرى ما لا ينبغي رؤية واضحة فيجتنبه.

...هذه الآية الثانية أصل في الموضوع... **من هنا قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : " تقوى الله تعني أن نورا يقذفه الله في قلب المؤمن فيرى به الخير خيرا والشر شرا" يعني المؤمن يشبه تماما إنسانا يمشي ليلا في طريق فيه حفر، فيه أكمات، فيه حشرات، فيه حيوانات، فيه أخطار، فيه منزلقات، لكن نجاته من كل أخطار هذا الطريق بنور قوي كشاف...يجعله يبتعد عن الحفرة، ويتلافى الأكمة، ويقتل الحشرة، وينجو من كل خطر؛ هذا هو نور الله حينما يقذفه الله في القلب.**

سيماء الفرقان في القرآن

● **الفرقان نور الحق الذي لا يتعدد :**

...آية ثانية ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ وليهم يربيهم، يرشدهم، يؤدبهم، يخوفهم أحيانا، يبشرهم، يرفع قدرهم ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾(البقرة : 256) الذي **يلفت النظر في هذه الآية أن الظلمات جاءت جمعا، وأن النور جاء مفردا؛ الجواب اللطيف الحق لا يتعدد، يعني بين نقطتين لا يمر إلا خط مستقيم واحد، ولو حاولت أن ترسم بين نقطتين آلاف الخطوط المستقيمة، تأتي جميعها فوق بعضها بعضا. الحق لا يتعدد لذلك جاء النور مفردا، أما الباطل كالخطوط المنكسرة والمنحنية، قد نرسم بين نقطتين آلاف الخطوط.. لذلك ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾(البقرة : 256)** يتضح من هذه الآيات **أن الإنسان يتحرك، هو كائن متحرك، تحركه حاجاته وشهواته وغرائزه وطموحاته، هذه الحركة إما أن تسبقها رؤية صحيحة، وهذا هو المؤمن، وإما أن تسبقها رؤية خاطئة، وهذا غير المؤمن الذي ضل سواء السبيل، وتحرك لغير سعادته وهنائه...**

● **الفرقان منحة التوفيق من الله الصمد :**

... الحقيقة الصارخة، الهدى من عند الله وحده «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم»(رواه مسلم) قال تعالى : ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾(النور :39) النور من عند الله، اتخاذ القرار الحكيم من عند الله... بطولة المؤمن أنه يهتدي بنور الله، يتحرك بتوفيق الله، يمشي لهدف واضح كان نتيجة رؤية صحيحة، فكلما اتقينا ربنا وأطعناه قذف في قلوبنا نورا، فالإنسان أحيانا يعيش في مجتمع فاسد.. منحرف، هذا المجتمع رؤيته غير صحيحة، بينما المؤمن يتمتع بهذه الرؤية فلا يقع في المنزلقات والأخطاء التي يقع فيها غيره.

● **للفرقان رب يحميه :**

الآية التي تلفت النظر هي قوله تعالى : ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾(الصف :8) تصور ضوء الشمس لا أقول نور الله... كيف أن إنسانا بسذاجة ما بعدها سذاجة أراد أن يطفئه بنفخة من فمه، لذلك هذا الذي يحاول أن ينهي الحق، أو أن يلغي الهداية، أو أن يفسد على الله هدايته لخلقه، هذا مستحيل وألف ألف ألف مستحيل، تماما كمن يحاول إطفاء ضوء الشمس بنفخة من فمه ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ **إذن لن تستطيع قوى الأرض مجتمعة أن تفسد على الله هدايته لخلقه، لذلك يبقى الإسلام شامخا، ولا تقلق على هذا الدين، إنه دين الله ، ولكن اقلق على نفسك أيها الأخ الكريم ما إذا سمح الله لك أو لم يسمح أن تكون جنديا له،** لذلك ما ضر السحاب نبح الكلاب، وما ضر البحر أن ألقى فيه غلام بحجر... إلى لقاء آخر إن شاء الله.

قسيمة الاشتراك

الإسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما.

■ خارج المغرب : 20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الإشتراكات باسم :

■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية. ■ أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم: 2111113412900014

أما قسيمة الإشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :

حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات

فاس - المغرب

مواقف وأحوال

عندما تغضب زوجة الملك !

انتبهوا أيها السادة، فإني سأحدثكم اليوم عن زوجة الملك، وإن شئتم قلت إني سأحدثكم بلغة أهل الزمان عن سيدة القصر الأولى، وسأحدثكم حديثا مقتضبا عن حال من أحوالها، يعطيكم صورة رائعة عن هذه الأميرة أو الملكة، فهي على كل حال زوجة الملك وأم الملك..

إنها أيها السادة عصمة الدين خاتون بنت الأتابك معين الدين، أصبحت ذات يوم غاضبة غضبا شديدا حتى عُرف ذلك من حالها، وبلغ الملك غضبُها! فمن ذا الذي يجرؤ على إغضاب هذه المرأة صاحبة الأمر والنهي، وصاحبة التاج والصولجان!

لا تتعجلوا فإن زوجة الملك هذه ليست كزوجات الملوك اللائي تعرفون! وإن ما يغضبها ليس من جنس ما يغضب هؤلاء.

إن عصمة الدين خاتون زوجة الملك العادل نور الدين محمود امرأة صالحة عرفت بالزهد وكثرة العبادة، حتى إنه اشتهر عنها أنها لم تدع قيام الليل، وحين غلبها النوم مرة، وفاتها وردها من القيام غضبت رحمها الله، واشتد حزنها وألمها على ما ضاع منها، وهو في نظرها كثير، إنه ليلة بدون قيام!!

ليس ذلك -أيها السادة- من نسج الخيال، إنه ليس حكاية للتسلية، ولا رواية أدبية، ولكنها الحقيقة، وإليكم مصدرها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : "وكذلك كانت زوجته -التشبيه هنا في الصلاح وقوة التدين بين الملك العادل نور الدين محمود وزوجته- عصمة الدين خاتون بنت الأتابك معين الدين تكثر القيام في الليل، فنامت ذات ليلة عن وردها فأصبحت وهي غضبى، فسألها نور الدين -زوجها الملك- عن أمرها؟ فذكرت نومها الذي فوت عليها وردها(1).

تُرى، ماذا فعل الملك، وقد ضاع على زوجته وردها مرة واحدة، وفاتها قيام الليل؟ يقول ابن كثير رحمه الله "فأمر نور الدين عند ذلك بضرب "طلبخانة" في القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل، وأعطى الضارب على الطلبخانة أجرا جزيلا وجراية كثيرة(2).

لقد أرضى الملك زوجته، فقراره يعني أن قيام الليل لن يفوتها مرة أخرى!

لا تنسوا أيها السادة أننا نتحدث عن زوجة الملك، وتذكروا جيدا أن لزوجة الملك وردا من قيام الليل لا تتركه، وحين فاتها غلبة لا اختيارا غضبت وتألمت!

تُرى، ما حال العامة من نسائنا قبل الخاصة مع الفرائض قبل النوافل، ومع الواجبات قبل المندوبات؟

ثم ما حال الخاصة منهن في مجرد إدراك أن هناك فرائض وواجبات فرضها الله ورسوله؟

لعل في حال عصمة الدين خاتون عبرة وموعظة لمن فتحت عقلها وقلبها للخير، واختارت لنفسها طريق الهداية والرشاد، ورحم الله الملك وزوجته!!

اللهم ألهمنا مراشد أمورنا، وأصلح ما فسد من أحوالنا. آمين

1- البداية والنهاية لابن كثير 655/12.
2- نفسه.

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

13 محرم 1432هـ - 19 دجنبر 2010 م- العدد: 349

تحدث الشيخ الجليل في الحلقة الأولى عن مفهوم الحمد ومقتضياته مع إبراز نموذج توضيحي من مفهوم الصبر، كما تحدث عن مقتضيات الحمد وتجلياته، وتوقف عند سؤال : كيف يكون الحمد بالقلب؟ وفي هذه الحلقة يجيب عن السؤال ويتحدث رحمه الله تعالى عن مفهوم الخالق وارتباطه بالخلق المتجدد، وعن ارتباط الحمد بالإحساس بنعمة الإيجاد والإمداد.

مفهوم الحمد التعبدي

2- بين مفهوم العبيد ومفهوم العبادة

د. فريد الأنصاري
رحمه الله تعالى

مفهوم الخالق وارتباطه بالخلق المتجدد المستمر:

أنت حينما تستيقظ كل صباح ألم يكن ممكنا ألا تستيقظ ذلك الصباح؟ بلى كم من شخص نام ثم توفاه الله إلى يوم القيامة، وكم من شخص نام ثم استيقظ فوجد أحد أعضائه لا يعمل، يمكن أن يجد يده -لا قدر الله- لا تتحرك أو رجله أو جميع بدنه أو بعض بدنه أو بصره أو سمعه، فإذا استيقظت صباحا ما، واسترددت عقلك فرجع إليك، فاستويت وأدركت ذاتك، عجيب جدا؛ فبسرعة شديدة -سبحان الله العظيم- يسترد الإنسان وعيه بعد النوم يوميا، ولكن لأن العادة تقتل ابن آدم ، يفقد الإحساس بهذه الأشياء الدقيقة في عالم النفس ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونْ﴾(الذاريات 27)، يكون الإنسان في نومه طبعا فاقد الوعي، وعندما يستيقظ -بسرعة عجيبة - يبدأ في استرداد وعيه، في بعض الأحيان يكون مريضا أو مسافرا، فيظل في فراشه ويجد صعوبة في استرداد وعيه بالزمان وبالمكان، أي وقت هو ذاك؟ وفي أي البلاد هو؟ وفي أي فراش هو نائم؟ وهذه حالة ليست سهلة أو هينة: أن الله عز وجل يسر لك خليقتك لأنه خلقك في أحسن تقويم، فتكون عندك إمكانية لاستدعاء وعيك، ويعيده لك سبحانه وتعالى، وكان يمكن أن يمنعه عنك ويتركك -لا قدر الله في عناء- كحال كثير من الناس الذين يفقدون الذاكرة نسأل الله العافية. ثم تحرك يدك، وتحرك رجلك، وتفرك عينيك، وتجد جميع أعضائك تشتغل وليس بها عطب أو عطل، ثم تقوم.

ألم تكن قد مت ثم بعثك من بعد موات؟ بلى، والنوم درجة من درجات الموت وطبقة من طبقاتها، والاستيقاظ من النوم درجة من درجات البعث والإحياء، وطبقة من طبقاته، كل يوم يحصل هذا، بل في اليوم والليلة مرات، لأن الإنسان ينام ويستيقظ أكثر من مرة، هذا فقط لنشعر بأن الله عز وجل يملك أمرنا ويخلقنا كل يوم، صحيح أن المفهوم السائد عند الناس أنه خلقنا مرة واحدة، نعم خلقنا ابتداء ﴿هَلْ اتَى عَلَىَ الانْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورَا﴾(الإنسَان : 1)؛ ثم كان ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الانْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ امْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(الإنسَان 2)؛ هذا الخلق الأول، ولكنه جل وعلا لم يفتأ يخلقك أيها الإنسان كل يوم ، يخلقك دائما حتى تموت عند ذلك تنتهي عملية الخلق، لتبدأ بعد ذلك عملية الخلق الآخر، وهو خلق يوم القيامة.

يخلقنا كل يوم سبحانه وتعالى بالإيقاظ من النوم والغفلة، و يخلقنا كل يوم سبحانه وتعالى بإمدادنا بالنَّفَس كل لحظة، فأنفسنا بيده سبحانه وتعالى، يخلقنا بإمدادنا بخفقات قلوبنا، فالواحد منا في بعض الأحيان ينصت إلى خفقات دقات قلبه ، إذا تأمل ذلك جيدا فيصاب بنوع من الفزع ، يخاف من دقات القلب، لأن دقات القلب كساعات ابن آدم، وسبحان الله العظيم، دقات قلب الإنسان معدودة، ولد فلان مذ خفق قلبه وهو جنين في بطن أمه، وعندها بدأ العد العكسي لخفقات قلبه، كذا وكذا من الآلاف أو الملايين أو العشرات، الله أعلم مما عد لك من خفقات قلبك، لا تزيد خفقة واحدة ولا تنقص، قال أحد شعراء العرب المعاصرين:

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان

وقوله هذا من الحكم التي تشد إليها الرحال كما يقولون، إذ يجعلك تحس أن قلبك كالساعة، هذه الخفقات هي بيد خالقنا عز وجل، يزودنا إياها، وحين يمسكها فهو يمسكها لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولذلك فإن المؤمن يجد نفسه مملوكا لله الواحد القهار، مملوك لا يملك نفسه، ومشكلتنا أننا ننسى أنفسنا ويتهيأ لنا أننا مالكو أنفسنا، ندخل متى نريد ونخرج متى نريد، وهذا غلط، فلا أحد في الكون يملك نفسه، وكل شيء في الأرض وفي السماء مملوك للمالك الواحد الأحد الفرد الصمد سبحانه وتعالى، لا تدخل متى تريد ولا تخرج متى تريد، ولكن تدخل بأمر الله وبإذنه وتخرج بأمره وبإذنه، وتتحرك بإذنه وتنام بإذنه وتستيقظ بإذنه، ولا شيء يقع في الكون إلا بإذنه، أعطاك الإرادة والاختيار لتتصرف في أمر حياتك، ولكن بإذنه سبحانه وتعالى. فنحن مملوكون إذن لله عز و جل، ونشعر أننا في حاجة دائمة لأن يخلقنا، وهو يخلقنا بعد هذا وذاك. وما تحدثنا عنه هو الجانب المعنوي الروحي من الخلق، والله تعالى يخلقنا أيضا بالمعنى المادي الفيزيائي، فالأكل والشرب والتغذية التي تصل إلى الأبدان فتقوم بتنميتها، سواء كان الإنسان في مرحلة النمو أي في مرحلة الخلق وتتميم الخلق أو كان في مرحلة تغذية الخلايا بعد استواء البدن، لأن الخلايا في أجسامنا تموت ويحييها الله من جديد، لو أنه عز وجل أوقف نمو أظفارك -مثلا- لحصلت مشكلة، فالله سبحانه يمدك بالأظفار ويمدك بالشعر ويمدك بالخلايا الباطنة والخلايا الظاهرة، لو أن الإنسان لا ينمو فعلا ولا يخلق كل يوم، إذا جرح أو قطع شيء من جسمه، فسيظل الجرح والفتح كما كان، ولكن الله عز وجل يخلقه مرة أخرى حيث جرح، ولذلك فمن أسمائه الحسنى سبحانه وتعالى "الخالق" وهو اسم فاعل يدل على أنه خالق في الماضي وخالق في الحاضر وخالق في المستقبل، فهو لفظ يدل على الثبات والاستقرار والاستمرار، خالق دائما، ولا تعني أنه كان خالقا في الماضي ولم يعد كذلك. أو أنه خلق بالأمس واليوم وغدا شيئا وأتمه وبدأ شيئا آخر. أنا وأنت وكل شيء لا يزال مستمرا في هذا الوجود، فالله يخلقه كل لحظة، وعندما يمنع عنه عملية الخلق، يعني أنه منع عليه الحياة و أماته، وانتهى خلقه، ولا أحد عنده استعداد أن يقبل أن يقطع الله عز وجل عملية الخلق، لأن معنى ذلك أنه سيموت، ولذلك كان الإنسان عامة يكره الموت، ولذلك سميت مصيبة، لأنها تقطع عليك عملية الخلق التي بها أنت موجود في الحياة الدنيا.

الذي يحس بالحاجة إلى ربه عز وجل ويعرف أنه لا يمكنه أن يزيد لحظة واحدة في عمله أو في حياته إلا به تعالى، هذا الإحساس هو الحمد، هذا هو "الحمد لله رب العالمين" ، تحمده سبحانه وتعالى لأنك في حاجة مستمرة إليه

ارتباط الحمد بالاحساس بنعمة الإيجاد (الخلق) والإمداد (الرزق) :

والذي يحس بالحاجة إلى ربه عز وجل ويعرف أنه لا يمكنه أن يزيد لحظة واحدة في عمله أو في حياته إلا به تعالى، هذا الإحساس هو الحمد، هذا هو "الحمد لله رب العالمين" ، تحمده سبحانه وتعالى لأنك في حاجة مستمرة إليه، لأنك لا تستطيع أن تستغني عنه طرفة عين، إذ لو تركت لنفسك لحظة واحدة معناه أنك قد فنيت وانتهى أمرك. فلا شيء يوجد في الكون إلا بنوره جل وعلا، كل شيء في الأرض وفي السماء من جميع الخلائق ذات الأنفس وغير ذات الأنفس: النباتات والجمادات والأحجار والأشجار والبحار، الملائكة والجان والنار، كل شيء مرتبط بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، مرتبط بذاته سبحانه وتعالى، فنحن مرتبطون باسمه الخالق، لأننا مخلوقون، ومرتبطون باسمه الرزاق لأننا مرزوقون، مرتبطون بصفته واسمه -مما ذكر في الحديث وإن لم يذكر في القرآن- "الشافي" لأننا نمرض ونشفى بإذنه، ووجودنا اليومي مرتبط بأسماء الله الحسنى، المسلمون والكفار وكل الخلائق مرتبطون بأسماء الله الحسنى، علموا ذلك أو جهلوه، إلا أن المؤمن عنده ارتباطات تزيد عن الكافر كثيرا -ولا وجه للمقارنة بينهما- فهو مرتبط باسم الله "المؤمن"، والكافر لا يعرفه ولا توجد عنده لأنه كافر، لكن الكافر مرتبط باسم الله "الخالق" لأنه مخلوق أحب أم كره، ومرتبط باسم الله وصفته "الرب" رب العالمين أحب الكافر ذلك أو كرهه، فهو مربوب، وهو عبد كرها وإن لم يكن عبدا اختيارا، والمؤمن يزيد على الكافر بكونه عبدا كرها واختيارا، وليس اختيارا فحسب كما يظنه البعض، نحن عبيد لله وعباد له، لأن القرآن يفرق بين لفظ العبيد والعباد، العبيد للناس جميعا مؤمنهم وكافرهم ﴿وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدْ﴾(ق 29)؛ العبيد داخلون كرها تحت القدرة الإلهية﴿ "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهْ"(الأنعام 19) سبحانه وتعالى. فالعبيد لفظ عام في كل الخلائق، وقد يرد فعلا العبيد بمعنى العباد، لكن اشتهر لفظ العباد وغلب على الصالحين ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾(الزمر 16)؛ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبْ﴾(البقرة 185)؛ إلى غير ذلك من الآيات، فالغالب في استعمال العباد الدلالة على الاختيار، أي الذين يعبدون الله اختيارا، والغالب على استعمال العبيد، المقهورون بعبادة الله، فالعبيد يستوي فيها الكفار والمسلمون، والعباد -غالبا- يأتي دالا على المسلمين وعلى الصالحين. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهْ﴾(الأنعام 19)؛ جاء دالا على الكفار وعلى المسلمين، فهو قاهر فوق جميع العباد، فقد تأتي العباد دالة على الكفار وعلى المسلمين لنكتة ذكرها المفسرون، وهي أن الله عز وجل حينما يذكر العباد ويدخل معهم الكفار، فمعنى ذلك أنه يحب خلقه، ويريد لهم الخير، وشاهده قوله عز وجل في سورة يس: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادْ: مَا يَاتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ الاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونْ﴾(يس29)؛ فالحديث في الآية عن الكفار، ولكن مع ذلك سماهم "عباد"، لأنه سبحانه وتعالى قال: ﴿يا حسرة﴾، وهو لا يتحسر سبحانه، ولكن حكى موقف التحسر، فالإنسان عندما يتأمل حال الكافر، ويرى أن مصيره إلى النار، يقول: يا أسفا، هذا مآله إلى جهنم، ويتأسف عليه. فالله تعالى حكى هذا الذي يقع في نفسية الإنسان البصير الذي يعرف الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية، أنه يتحسر، فحكى الله هذا التحسر ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادْ﴾(يس29)؛ وقوله تعالى: : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهْ﴾(الأنعام 19)؛ هو من هذا المعنى، فعندما تكون لفظة العباد هي الواردة في القرآن الكريم، فهي لفظة محبة دالة على الناس القريبين من الله أصلا، وفي بعض الأحيان تدل على البعيدين، ولكن يذكرها سبحانه وتعالى ليبين أنه يريد بهم الخير، ولكنهم هم ما أرادوا الخير بأنفسهم، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونْ﴾(النحل 118)؛ إذن فالمسلمون وغير المسلمين مشتركون في كونهم مخلوقين لله، وهذا المعنى لا أحد يريد فقده لو أدركه، حتى الكافر لا يحب أن يفقده لو أدركه وأبصره حقيقة، ولذلك فالمؤمن يحمد الله أن بصره عز وجل بهذه الحقيق.

-يتبع-

الإلفة.. إيجابياتها وسلبياتها

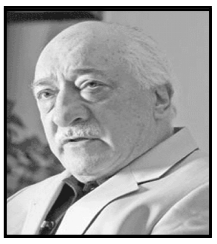

ذ. محمد فتح الله كولن

السؤال: ما الإلفة؟ وما تأثيراتها السلبية؟

الجواب: الإلفة تأتي بمعنى العادة والصداقة والمحبة. أما المعنى المقصود هنا فمع كونه ذا علاقة بهذه المعاني بعض العلاقة إلاّ أنه أكثر شمولاً. الإلفة هي علاقة الإنسان مع الأشياء والحوادث والمعاني الحاصلة من هذه العلاقة، وانعكاس هذه المعاني وهبوب نسيمها في أعماق نفس الإنسان، ثم التغيرات التي تحدثها في سلوك الإنسان. وهكذا فهناك سلسلة متعاقبة من الوقائع وما تنتجها من شؤون تبقي الروح حيًّا وديناميكاً وحساساً.

أجل! إن حساسية الإنسان وإعجابه بجمال الوجود وجاذبيته، وإعجابه بالنظام الموجود الذي يعمل أدق من الساعة، وما يثيره هذا النظام في نفسه من مشاعر الفضول والدهشة، ثم زيادة خبرته ومعرفته بعد كل اكتشاف يتوصل إليه، ثم وصوله إلى التفكير المنهجي بعد ربط أجزاء معلوماته بعضها مع بعض.. هذه الأمور تحفز مشاعره وحركة ذهنه وفعالية روحه وتجعل الإنسان في يقظة روحية.

أما إن بقي دون مشاعر ودون أحاسيس أمام آلاف من لوحات الجمال والنظام ودون أي مبالاة، لا يبحث عن أسباب وعن حكم ما يراه، بل يمر لاهياً وغافلاً... فهذا أمارة على موت أحاسيسه وروحه وعمى بصيرته. فكتاب الكون المليء بالأسرار بالنسبة لهؤلاء لا يعني شيئاً، ولا تتفتح عوالم النفس الإنسانية أمام أنظارهم ورقة ورقة: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾(يوسف:105)، لم يستفيدوا مما حدث ومضى، ولم يعتبروا مما يأتي أو يمضي.

كل إنسان يحدس ويفهم ما يحدث حواليه، ويحس بالإعجاب بالوجود وبالفضول لاستكناه أسراره، هو مثل شخص نشر شراع سفينته في بحر لا نهاية له. وهو في سياحته هذه يحصل على المفاتيح الذهبية لقصور الأسرار وقلاعها. وكلما نهل روحه وقلبه وأحاسيسه النقية وذهنه التركيبي من هذه الأسرار رأى في كل موضع جنائن معلقة فتتحول دنيا أفكاره إلى نوع من جنة الفردوس.

أما من لم يصل إلى هذا الفهم وإلى هذا الروح فنراه يشكو على الدوام من الضيق والملل والسأم، ومن الوتيرة الواحدة التي تسير عليها الحوادث، لأنه لم يستطع الخلاص من أسر ما اعتاد عليه أو ما ألفه. فكل شيء بالنسبة لهؤلاء فوضى، وكل شيء ظلام، وكل شيء دون معنى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُومِنُوا بِهَا﴾(الأعراف:146) أي هناك سلاسل على عقولهم وأكنة على قلوبهم: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾(البقرة:7)، إن انتظار أي خير أو أي ثمرة من أمثال هؤلاء عبث لا طائل تحته.

ثم هناك انغمار في الإلفة بعد المعرفة والمشاهدة، أو ما يُحسب ويظن أنه معرفة ومشاهدة. وأعتقد أن السؤال موجه نحو هذه النقطة، أي بعد القيام بالحصول على بعض المعرفة وبعض العلم، والظن بأن كل شيء قد انتهى، فيغرق في عالم الإلفة والعادة ولا يحس بأي علاقة واهتمام بالتغيرات والتحولات الحاصلة في الدنيا، ولا بعالم الجمال المتجدد دوماً وأبداً والداعي إلى التأمل والعبرة وزيادة القلب والروح عمقاً وسعة.. أي يتحول إلى كائن لا يحس ولا يأخذ عبرة من أي شيء. وهذا يعني -والعياذ بالله- سقوطاً للإنسان، وموت أحاسيسه ومشاعره.

فإن لم يسرع من ابتلي بهذا إلى رفع الغشاوة عن عينيه بسرعة وإن لم يبادر إلى تأمل الحكم والأسرار الموجودة في الأشياء حواليه، وإن لم ينصت بسمعه وقلبه إلى الملأ الأعلى، وإلى الرسائل والإشارات الإلهية منها، ويحاول فهمها، فالمصير المحتوم أمامه هو الموت المعنوي، والاحتراق الداخلي الذي يحوله إلى فحم ورماد.

ولهذا أرسل الله تعالى خالق هذا الكون بين فينة وأخرى مرشدين، وجهزهم بمعجزات واضحات، قاموا بإيقاظ الغافلين وفتح العيون للنور، والقلوب للانشراح والمعرفة ولتنبيه عقول وضمائر الذين سجنوا أنفسهم داخل أسوار الإلفة والعادة، وطلبوا منهم إعادة التأمل في ملكوت السموات والأرض.

أرسل الله تعالى خالق هذا الكون بين فينة وأخرى مرشدين، وجهزهم بمعجزات واضحات، قاموا بإيقاظ الغافلين وفتح العيون للنور، والقلوب للانشراح والمعرفة ولتنبيه عقول وضمائر الذين سجنوا أنفسهم داخل أسوار الإلفة والعادة، وطلبوا منهم إعادة التأمل في ملكوت السموات والأرض.

لذا فقد ذكر الله تعالى في كتابه وفي مواضع عديدة وبعبارات وأساليب مختلفة كيف أنه خلق الإنسان وجعله في الأرض خليفة، وخلق له زوجه ليسكن إليها، وجعل بينهما مودة ورحمة، ووجه الأنظار إلى تأمل السماوات والأرض، وإلى عظمة خلقه وإلى اختلاف ألسنة الأقوام وألوانهم، وإلى اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، وإلى النعم التي يرسلها مع الأمطار والبروق.. أي لم يبق هناك مجال واعتبار لأي ألفة بعد كل هذا التذكير والدعوة إلى التأمل: ﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ × وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ انْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ × وَمِنْ آيَاتِه خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ × وَمِنْ آيَاتِه مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ × وَمِنْ آيَاتِه يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِه الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الروم:20- 24).

فهذا البيان السماوي يبدد الإلفة بمئات من تنبيهاته وإرشاداته إلى التأمل والتفكر في آلاف الخوارق والمعجزات الجارية في الكون. ولكن مع هذا يوجد من لا يستطيع سماع أو تدبر الحوادث والآيات الموجودة حوله وفهمها. وهؤلاء هم أمثال السمكة التي تعيش في البحر ولا تعرفه.

وهناك شيء آخر في هذا الخصوص، وهو الإلفة في الفكر والتفكير والتصور، وهذا ينعكس على سلوك الإنسان وعلى عبادته. ومثل هذه الإلفة والعادة يعني موت الوجد والعشق والأحاسيس لدى الفرد. والفرد المبتلى بهذه الإلفة يزول عنه الإحساس بالمسؤولية والنفور من الإثم والبكاء على الآثام التي يرتكبها. ومن الصعب إرجاع مثل هذا الفرد إلى حالته الأولى، ولا يفيد معه سوى تذكرة طيبة ونقية لكي يرجع إلى نفسه ويجدها من جديد ويرى ما حوله بعين متفحصة وقلب متأمل.

إنْ أردنا أن نعيد بناء الإنسان وتجديد روحه، فعلينا أن ننفث فيه المعاني المذكورة. صحيح أن هناك ميلاً عند الإنسان نحو الجمود والتحنط، ولكن تجديد نفسه ليس مستحيلاً كذلك، إذ يكفي أن تمتد إليه يد بمبضع الجراحة لتمنع هذا الجمود وتجدد دورة دمه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(الحديد:16).

ونستطيع القول كخلاصة إن الإلفة تعد مصيبة كبيرة للإنسان وإن الكثيرين معرَّضون لها. والذي يقع فيها يكون غافلاً عما يحدث حواليه، ولا يبصر الجمال الموجود في كتاب الكون، ولا يسمع صوت الحق من ألسنة الحوادث لأنه أصم، لذا يكون إيمانه سطحياً وغير كاف. وتكون عبادته باردة لا روح فيها ولا وجد، وفي تعامله البشَري دون رقيب أو حسيب، وخلاصه منها مرتبط بامتداد يد عناية قوية نحوه لكي يرى ويسمع من جديد.

يحتاج من سقط في هاوية الإلفة إلى:

1- تأمل عميق في الآفاق وفي الأنفس،

2- تذكر للموت ولمشاهد الآخرة،

3- زيارة لمؤسسات الخدمات الإيمانية،

4- تكليفه ببعض المهمات والوظائف الإيمانية،

5- إطلاعه على الصفحات المشرقة لماضينا،

6- جمعه مع أصحاب الفكر والثقافة وأصحاب الوجد والقلب لتتهيأ له فرصة تجديد نفسي هناك.

وإضافة إلى الاقتراحات أعلاه هناك اقتراحات ومجالات أخرى يمكن التفكير فيها والانتفاع منها، إلاّ أننا نكتفي بما ذكرناه لكونه أعطى فكرة ملخصة حول الموضوع. ندعو من الله تعالى أن يزيل الإلفة والعادة من قلوبنا، فمفاتيح القلوب كلها بيده.

● الترجمة : اورخان محمد علي

إشراقة

التصحيف في الحديث الشريف (1)

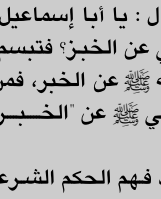

ذ. عبد الحميد صدوق

السنة الشريفة هي مصدر البيان الشارح للقرآن، وهي مادة الوعظ في جهاد الدعوة، وزاد الواعظ الذي لا ينفذ عطاؤه، ولا ينقطع مدده، وينتفع بنوره وهدايته سامعه، فإذا حرف الحديث الشريف بالخطأ والتصحيف ضاع أصل الدعوة، وبطلت الحجة، وظهرت الفتنة.

ذكر صاحب "الإشاعة في أحوال الساعة" أن رجلا ادعى النبوة يسمى : لا، فصحف الحديث المعروف : "لا نبي بعدي"(متفقه عليه). فقرأ : لا، نبي بعدي، فرفع نبي مع التنوين بناء على أنه خبر مبتدأ، ولا اسمه وقع مبتدأ.

وهذا من أقبح التصحيفات المثيرة للفتن والشائعات، ولم يعلم هذا الجاهل أن النبي ﷺ قال : "أنا خاتم النبيين"(متفقه عليه).

وهناك من التصحيفات ما لا يقل خطورة عن هذا، فقد قال أبو العيناء : حضرت مجلس بعض المحدثين المغفلين فأسند حديثا، فقال عن رسول الله ﷺ، عن جبريل، عن الله، عن رجل؟ فإذا هو قد صحفه، وإذا هو: عن الله عز وجل.قرأها : عن رجل. قال أبو العيناء : من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله عز وجل؟!

والتصحيف في حديث رسول الله ﷺ يسقط هيبة الدعوة ويعرض الواعظ للملاحظة والمآخذ. قرأ عبد الواحد بن علي بن خشيش الوراق على أبي بكر النجاد حديث كعب بن مالك قال : كنت أول من عرف وجه رسول الله ﷺ يوم أحد، رأيت عُتيبة ابن هران تحت المغفر "فقلت له ويحك، إنما هو : "فرأيت عينيه تزهران". فضحك الناس منه حينئذ.

وسأل غلام حماد بن زيد فقال : يا أبا إسماعيل حدثك عمرو عن جابر أن النبي ﷺ نهي عن الخبز؟ فتبسم حماد فقال : يا بني إذا نهى رسول الله ﷺ عن الخبر، فمن إيش هذه الناس؟ إنما هو : نهي النبي ﷺ عن "الخبر"(رواه مسلم).

ومن التصحيف ما يفسد فهم الحكم الشرعي، عن زكرياء بن مهران قال : صحف بعضهم، حديث لا يرث حميل إلا ببينة"(رواه الدارمي). فقال : "لا يرث جميل إلا بُثينة".

وهناك تصحيف الفهم، يجعل المستمع ضالا في دروب الوهم. عن أبي موسى محمد بن المثنى العنزي أنه قال لهم يوما : نحن قوم لنا شرف نحن من عنزة قد صلى النبي ﷺ، إلينا لما يروى أن النبي ﷺ : "صلى إلى عنزة"(متفقه عليه)، توهم أنه صلى إلى قبيلتهم، وإنما العنزة التي صلى إليها النبي ﷺ هي حربة كانت تحمل بين يديه فتنصب فيصلى إليها.

إن كثرة المعارف والفنون مع وجود اللحن عند الكلام والقول، عثرة في طريق الدعوة تكسر هيبتها، وتصدع مرمتها، وتسقط علوها، وتفضح صاحبها، فلهذا ينبغي للواعظ أن يهتم بفصاحة لسانه، واستقامة أدائه، فإن قوة البيان في سلامة اللسان عند النطق والكلام.

قال يحيى بن معين : إني لأحدث بالحديث، فأسهر له مخافة أن أكون قد أخطأت فيه.

وحكي عن بعضهم أنه قرأ حديث "يا أبا عمير ما فعل النغير"(متفقه عليه)، مصحفاً فقال : يا أبا عمير ما فعل البعير" صحفه إلى بعير، فافتضح عندهم وأرخوها عنه(علوم الحديث ص 166).

فلهذا قال أبو حاتم الرازي : إذا كتبت فقَمِّش، وإذا حدثت فقَتِّش. وقمش أي : جمع من كل الطرق، ولكن إذا كان وقت الرواية ففتش في صحة الألفاظ.

فلما شاع على الألسنة هذا التصحيف الذي يقلب المعنى ويفسد النص، بدأ العلماء يشكلون الحروف المتشابهة، قال الإمام أحمد رحمه الله : كان يحيى بن سعيد يشكل الحرف إذا كان شديدا، وقال بعضهم : إنما يُشْكَلُ ما يُشْكِلُ، وقال آخرون : يجب شكل ما أشكل وما لا يشكل.

ومن هنا تدرك أخي الواعظ ما للتصحيف من خطورة في نشر الالتزام المنحرف بمبادئ الدين الحنيف.

1- والتصحيف : يكون في السند، والمتن، واللفظ، والمعنى، والتصحيف : في اللفظ هو الذي يهمنا في موضوعنا.

الظن الحسن والظن السيىء

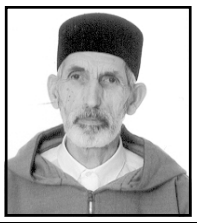

ذ. محمد الصباغ

أولا : تعريف الظن :

تدور دلالة الظن أحيانا بين إفادة اليقين، وإفادة ما ليس بيقين.

أ- دلالة الظن بمعنى ما ليس بيقين

الظن هو ما ليس بيقين، وهو من طبيعة البشر، فكل إنسان لا يخلو من ظن، لأمارة يلتمس لها ما يقويها من أدلة وقرائن حتى يثبت صحة ظنه، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه أهل العلم وأولو الألباب. وأما الظن بغير أمارة قوية تدعمه، فهو ضرب من التوهم يضل به كثير من الناس الذين يحملهم الغرور على التيقن من ظنهم الباطل، لا يستمعون فيه إلى كلمة حق أو آية بينة عنادا واستكبارا، أولئك الذين "صدق عليهم إبليس ظنه" فضلوا ضلالا بعيدا. قال المفسر القرطبي في تعريفه للظن : إنه التهمة بالباطل. وقال الزمخشري : لا يعمل أحد على ظن إلا بعد نظر وتأمل، وتمييز حقه من باطله بأمارة بينة، مع استشعار للتقوى والحذر.

ب- دلالة الظن بمعنى اليقين :

وقد يكون الظن بمعنى اليقين كما في قوله تعالى : ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون﴾(البقرة : 44- 45). وكذا في قوله سبحانه : ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا﴾(الكهف : 52). وفي قوله تعالى : ﴿وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق﴾(القيامة : 27- 29). يعني ذلك الرجل أو المرأة التي تكون في حالة الاحتضار، فيظن هنا بمعنى يعتقد يقينا بأن ساعة فراقه للدنيا والمال والأولاد قد حلت به.

ثانيا : أقسام الظن :

وإذا نظرنا إلى الظن من الناحية الشرعية نجد أن منه ما هو مقبول شرعا، ومنه ما هو مرفوض ومنهي عنه.

● 1- الظن المقبول شرعا هو الظن الحسن :

فالمقبول هو الظن الحسن المتيقن وقوعه، وهو ما تحامت الأدلة والبراهين على صدقه، كظن الذين آمنوا أنهم ملاقوا ربهم" وظن الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا بغير عذر عن الخروج مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك. حيث قال الله فيهم : ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾(التوبة : 119).

ومن الظن الحسن الذي يجب على المسلمين الالتزام به، حسن ظنهم برب العباد الذي خلق الإنسان فسواه ورزقه من النعم مالا يحصى، ووعده بنعيم الآخرة، إن هو أطاعه واتبع ما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

قال تعالى : ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾(الأحزاب : 71). فإليه سبحانه نلجأ، وعليه نتوكل، وبه نستعين وهو القائل في حديثه القدسي : «أنا عند ظن عبدي بي»(رواه الشيخان). ويقول الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله : "فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك فيه، يكون توكلك عليه". ويقول الشاعر العربي في حسن الظن بالله :

من لحسن الظن بذي العرش جنى
حلو الجنى الرائقَ من شوك السفا

● 2- الظن السيىء :

أما الظن السيئ فهو على نوعين : سوء الظن بالله عز وجل، وهو كفر وإلحاد والعياذ بالله، وهو تهمة الأشرار وصفة المنافقين والمشركين. يقول الله تعالى في سورة الفتح : ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم﴾(آية : 6).

> إن الظن السيىء الذي يأثم به المومنون، هو الظن الذي يخوضون به في أي شيء بغير علم رجما بالباطل.﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ ومن هذا القبيل سوء ظن المومنين بإخوة لهم واتهامهم من غير بينة، وأن يُلقوا سمعهم إلى مفتريات لا علم لهم بها، وذلك بهتان عظيم

ويقول : ﴿وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون﴾(فصلت : 22- 23). فسوء الظن بالله منهي عنه، وهو مرض نفسي ليس له طبيب ولا دواء إلا التقوى والخشية من الله، وتنقية النفس من الصفات الذميمة كالحسد والبغض، قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾(الحجرات : 12).

إن الشيطان لعنه الله يعمل جادا وباستمرار لإثارة الشكوك والظن في نفوس الناس، ليدفع بهم إلى الهلاك، روت أم المومنين صفية رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ، كان معتكفا في المسجد، فذهبت إليه وتحدثت معه، ولما أرادت أن تنصرف، قام رسول الله ﷺ يمشي معها، فمر بهما رجلان من الأنصار فسلما وانصرفا، فناداهما رسول الله ﷺ وقال : "إنها صفية بنت حيي" فقالا : يا رسول الله، ما نظن بك إلا خيرا، فقال : "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإني خشيت أن يدخل عليكما".

إن الظن السيىء الذي يأثم به المومنون، هو الظن الذي يخوضون به في أي شيء بغير علم رجما بالباطل.﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ ومن هذا القبيل سوء ظن المومنين بإخوة لهم واتهامهم من غير بينة، وأن يُلقوا سمعهم إلى مفتريات لا علم لهم بها، وذلك بهتان عظيم. قال تعالى في أحكام الإفك في سورة النور ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين﴾(آية : 12). وقد ساءت أم أيوب الظن بعائشة أم المومنين رضي الله عنها، فسألت زوجها يا أبا أيوب، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال : نعم، وذلك كذب، ثم سألها : هل كنت أنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت : لا، والله ما كنت أفعله، فقال لها : فعائشة والله خير منك.

ولا يمكن أن نعتبر اكتشاف خدعة بائع الدقيق المبلل، من قبل رسول الله ﷺ، حين أدخل يده عليه السلام في الكيس هو سوء الظن بصاحبه، بل هو إلهام من الله له، للقيام بذلك الفعل من أجل استصدار الحكم العام : "من غشنا فليس منا".

وخلاصة الحديث عن الظن عموما هو أن نحسن الظن بالله في كل الأمور، وفي كل وقت وحين، وأن نحسن الظن بالناس، لكن من حامت حوله الشكوك منهم، فيجب الحذر منه، لأن الناس فيهم الصادق والكاذب، والمخلص والخائن، والطائع والعاصي... ولهذا لا ينبغي للإنسان أن يحسن الظن بغيره من دون تدبر وإمعان، ومن فعل ذلك عن غفلة أو تهور، كان كمن ينثر الورود على الجميع دون تمييز بين من يستحقها ومن ليس أهلا لها.

الإغلاق

د. سلمان بن فهد العودة

يظن طالب العلم الذي كتب إليّ أن على الداعية أن يصل بالأمر إلى منتهاه، ويغيب عنه التفريق بين حال الداعية وحال المعلم، وحال القاضي والحاكم، فهو ينظر إلى زاوية واحدة، هي أن الحق يجب أن يقال، أمّا مَا مقدار الحق الذي يُقال؟ ومتى يُقال؟ وكيف يُقال؟ ومن الذي يقوله؟ فهذا ما لم ينتبه إليه. الحق كبير وكثير، ولا يتسنى لأحد أن يقول الحق كله، ولكن الحكمة تجعل العاقل يأتي بالجوامع من الحق التي يتآلف عليها الناس، ولذا كان النبي ﷺ ممن أوتي جوامع الكلم، وهي العبارات الموجزة التي تنتظم معاني كثيرة، ليس هذا فحسب، بل الجوامع هي الحكَم والدرر ومفاصل القول التي ينتهي معها كثير من الخلاف والجدل، وتأخذ المسائل نصابها وقدرها.

الداعية حين يكتب أو يتحدث يراعي نفسيات المخاطبين وقدراتهم واستيعابهم، ويسعى لتأليف نفوسهم على الحق والخير.

والفقيه يجتهد في ضبط العبارات والأحكام والشروط والأحوال والتمييز بينها ووضع المراتب وسرد الأدلة.

والمدرس ينحو منحى أكاديمياً لترسيخ معلومات مبدئية في نفوس الطلاب، وتعويدهم على البحث والنظر والتفكير.

والقاضي والحاكم بيده مقاليد التنفيذ والإلزام، بعد البتّ والقطع، فهو في نهاية المطاف يقضي ويقطع بأن الحق لهذا أو ذاك، أو يقسمه، وقد يقع له التردد والشك.

ولذا، فالداعية يتحرك في ميدان واسع ولا يلزمه أن يغلق المسائل ويوصلها إلى منتهاها، لأن ما لا يتحقق اليوم قد يتحقق غداً، وما لم يقل هنا يقال هناك، وما لم يسمعه هذا سمعه ذاك. ومن المشكل أن ألاحق الداعية وأطالبه بأن يقول ويقول ويقول؛ بناءً على نظرتي الخاصة لما يجب أن يقال.. بينما نظرته هو مختلفة. في صحيح مسلم عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ». فأنت تلاحظ هنا مقام الدعوة، والرجل حديث عهد بإسلام، حتى إنه تكلم في صلاته، وقد زجره بعض الصحابة فنهاهم النبي ﷺ وفي هذا درس عظيم في عدم الاستجابة لرغبات صادقة، لم تراع الظرف والحال وشأن المدعو فرداً كان أو جماعة أو مجتمعاً. وحين سأل الرجل رسول الله ﷺ وقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ «فَلَا تَأْتِهِمْ»(رواه مسلم). بينما في مقام آخر قال ﷺ : «مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»(رواه مسلم)، وفي حديث آخر قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافاً أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»(رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما).

حين تكون المسألة تحتمل حالاً من التكفير وحالاً من التحريم وحالاً من الكراهية؛ يقدر الداعية المقام، فليس يلزمه أن يوصل الأمر إلى منتهاه، وأن يقول: هذا كفر – مثلاً- لما قد يترتب عليه من سوء الفهم أو النفور أو سوء التوظيف للعبارات وما تؤول إليه، ولا يلزم أن ينطق بالتحريم، فإذا حذر أو نهى وزجر وساق العواقب المترتبة على الفعل، وحشد شيئاً مما حضره من النصوص؛ فقد أدى واجب البيان بحسب الحال. إن استحضار الإعلان بالتكفير أو التضليل أو القطع في كثير من المسائل يحدث من النفور لدى بعض المتلقين، ومن سوء الاستخدام لدى آخرين ما يجعل أن المقام الأليق عادة بالداعية هو الحث والتحفيز على الخير، والثناء على أهله، وسرد مثوبته والنهي والتخويف من الشر والتحذير من عواقبه، وليس يلزم أن يلحم المسائل بالنص على كفر أو فسوق أو تحريم إذا كان المقام يقتضي غير ذلك، أو كانت المسألة غير ظاهرة الحكم وفيها اختلاف بيّن، وما يعرضه الداعية ليس سوى اجتهاد أو رأيه. والأحكام لها مقامها ومناسبتها ورجالها المختصون، ولها متلقوها وطلبتها الذين يقفون المسألة عند حدها، ولا يخلطون ولا يسيؤون التوظيف، وقد جعل الله لكل شيء قدراً.

● مجلة المجتمع عدد 1929

الهجرة النبوية : دروس وعبر

ذ. عبد اللطيف احميد الوغلاني

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أعز الإسلام بهجرة سيد الأنام، ورفع شأن المسلمين وتوّجهم بتاج النصر والظفر والإكرام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نصر نبيه وأيده بجنود لم تروها، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين من ربه، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ؛ عباد الله ؛ أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وطاعته، قال الله عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(آل عمران ؛ 102).

أيها المسلمون : بعد عشر سنين من مبعث نبينا الكريم محمد ﷺ وبعد أن صدَعَ بدعوته وجاهد من أجل إبلاغ رسالته، كان أذى قريش قد بلغ حداً من الإيلام لا يُقدّر، ودَرَكا من الأذَى والصّدِّ لا يُتصور، وكان المستضعفون من المؤمنين يجْأرُون بلسان الشكوى قائلين : ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾(النساء : 75).

وكلما حاول الرسول الكريم ﷺ الوصول إلى شيء من هدفه ومقْصده، إذاَ بصَوْلَة الباطل تتفَنّن وتتجدّد، وَتزدادُ وتشتد، حتى تكَاثَر الكفار على المسلمين، يسومونهم سوء العذاب، يضربونهم ويجلدونهم ويمنعونهم من الطعام والشراب، ويجرونهم في الرمضاء، حتى هموا بحبس نبينا ﷺ أو قتله أو طرده، كما أخبر الله عز وجل : ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾(الأنفال : 30).

فأذن الله تعالى لنبيه ﷺ بالهجرة إلى المدينة حيث الأنصار : الأوس والخزرج، الذين كانوا قدْ قدِم جمع منهم قبل الهجرة إلى مكة، فلقيهم النبي ﷺ عند العقبة، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، وكانوا في السنة الأولى ستة رجال، وفي العام بعده اثني عشر رجلا، ودعوا قومهم إلى الإسلام حتى لم تبق دار إلا دخلها الإسلام، وبايعوا النبي ﷺ على السمع والطاعة، وعلى أن ينصروه، ويؤوُوه، ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم، وأن لهم الجنة، فترك النبي المصطفى ﷺ مكة قائلاً : «والله إنّك لأحبُّ البقاع إلى الله وأحبّ البقاع إلي، ولوْلاَ أن قومَك أخرجوني منْك ما خرجْتُ».

وخرج رسَول الله ﷺ محاطاً بعناية الله ورعايته بعدما رتب لكل شيء يخصه، فاستعمل عليا رضي الله عنه ﷺ مكانه ﷺ ليؤدي الأمانات عنه إلى أهل مكة وليُمووِّه على قريش حتى لا يعلموا بخَبَر خُرُوجه، واختَار رفِيقَ هجرته أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وكلف ابنه عبد الله بأن يأتيه كل يوم بأخبار قريش، وكلف أسماءَ رضي الله عنها بحمل الزاد والمُؤن إليهما في غار ثور.

واستأجر ﷺ عبد الله بن أرَيقط دليلا لهما على الطريق نحو المدينة وواعَدَاهُ غار ثور بعد ثلاث وسلماه راحلتيهما. ولما علم المشركون بالخبر تعقبوه إلى أن وصلوا غار ثور فرد الله كيدهم ورجعوا على أعقابهم خاسرين فعمِّى عليهم بَاب الغار، ففي الصحيحين أن أبا بكر رضي الله عنه قال : نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت : يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال : «يا أبا بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثُهما/1». وفي ذلك يقول الله عز وجل ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾(التوبة : 40). فتأمل أيها المسلم في حفظ الله تعالى لأنبياءه وأوليائه، وعظيم قدرته وإعجازه -فإن من توكل على الله كفاه- ولقد توكل رسول الله ﷺ على الله فبلغه هدفه ووصل المدينة في أمن وأمانة وقوة ومنعة واستُقبل استقبال الفاتحين فوحد المدينة وجمع شمل المسلمين بها وأسس المساجد وعمر البلاد وصنع الرجال الذين فتح الله بهم مكة من جديد وفتحوا العالم بأسره بتوفيق من الله وإحسانه. فكان لهم فضل على الإنسانية لا يُعْرفُ مداه، وديْن في عنق كل مسلم حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

عباد الله : لقد شرع الله سبحانه وتعالى الهجرة لنبيه ﷺ ولصحبه الكرام نصرة لدينه القويم، وطاعة وتقرباً إليه عز وجل، وذلك لعدة مقاصد وأهداف نذكر منها :

1- تمحيص إيمان المؤمنين : فإن الله عز وجل جعل من سننه الثابتة الاختبار والامتحان للمؤمنين لتزكيتهم وترقيتهم قال سبحانه وتعالى : ﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون﴾(العنكبوت : 1- 2) ولقد أوذي رسول الله ﷺ والمؤمنون معه بأشد أنواع البلاء فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، ثم كانت مفارقة الوطن قمّة الامتحان إذ فيها يتحقق التجرد التام والعبودية الكاملة والطاعة المطلقة لله رب العالمين.

2- التخلص من الظلم والتبوُّءُ بالمنزلة الحسنة، والفوزُ بالأجر الأكبر في الآخرة. قال تعالى : ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾(النحل : 41).

3- إقامة الدين كنظام يضبط أمور الناس وحياتَهم كُلّها، ثم حمايتُه من عبث العابثين، وتحقيقُ وعْد الله لعباده المؤمنين الصابرين المحتسبين المجاهدين بالنصر والتمكين، قال تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم..﴾(سورة النور) وقال تعالى : ﴿الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾(الحج : 39). جعلنا الله سبحانه وتعالى جميعا ممن حسنت عاقبتهم ولاقَوا الله وهو راضٍ عنهم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتّقين وخاتِم المرسلين، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : عباد الله : إن الحديث عن الهجرة والقيامَ بها يجدد الإيمان ويبعث اليقين في نفوس المسلمين، ويشد العزم ويقوي الأمل للمجاهدين، الذين يرجون ما عند الله والدّار الآخرة، لا يبتغون بجهادهم وكفاحهم مالاً ولا جاهاً ولا سلطاناً، وإنما يتبغون إصلاحاً وخيراً وأماناً. وإننا إذا ذكرنا الهجرة ذكرنا الإيمان القوي الصادق والصبر الجميل، وذكرنا التضحية والفداء، والبذل والعطاء، والأخوة والإيثار، وأكثر من ذلك أن نذكر نصر الله تعالى لأوليائه وأتقيائه، ومحبّته لأصفيائه، وأنه من توكل على الله هداه ومن لاذَ بِه كفاه شر الأشرار وفتنة الكفار... ﴿أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه﴾(الزمر : 36).

أيها المسلمون : لقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**» وقال ﷺ : «**المهاجر من هاجر ما نهى الله عنه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمِنَهُ الناس على أموالهم وأنفسهم**» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

فأين نحن من قول الحبيب المصطفى ﷺ هذا؟! ألم يحن الوقت بعد لنا أن نعي دورنا في الحياة جيداً وندرك بأننا أصحاب رسالة ورثناها عن رسولنا الأعظم وطوّقْنا بها أعناقنا إذا لم نعمل بمقتضاها وأديناها إلى غيرنا ووفينا بذلك؟ فأين دورنا من نصرة دين الله ورسالة رسوله الكريم ﷺ؟! أما آن لنا أن نهاجر إلى الله حقا ونفرّ بديننا من بطش الفتن والمنكرات والمغريات والمعاصي التي حلت بنا من كل جانب؟! أما آن الأون لنا كباراً وصغاراً رجالاً ونساء آباءً وأمهاتٍ رعاةً ومرعيين أن نهجر كل مظاهر البعد عن ديننا؟! أما آن لكل راع لرعيته أن يأخذ بيد شبابنا الضائع لهجر الخلاعة والمجون والتحلي بالجد والاجتهاد؟ وعدم إضاعة الوقت فيما لا يفيد؟ أما آن الأوان للعصاة من أمتنا أن يتوبوا ويُقْلِعُوا عن معاصيهم؟! ألم يأن لكل مسلم أن يهجر الإسراف ويتحلى بالاقتصاد في الإنفاق والبعد عن التبذير وإضاعة المال...؟! أما آن الأوان لوسائل الإعلام من قنوات وفضائيات وإذاعات وغيرها أن تهجر كل برامج الهدم ونشر الرذيلة في الأسرة والشارع والمجتمع؟! أما آن لك أيها الإنسان وأنت في صحراء المعصية وقد قحطَت العين وقَسا القلْبُ أن تتأمل قول من يخاطبك بقوله مذكراً إياك بأنك :

قطَعْتَ شُهُورَ العُمْرِ لهْواً وغَفْلَةً
ولمْ تحْتَرِمْ فيمَا أتَيْتَ المُحَرَّمَا
فلا رجَبَ وافَيْتَ فيه بحَقِّه
ولا صُمْتَ شهْرَ الصّوْمِ صوْماً مُتَمَّما
ولا في ليَالي عشْرِ ذي الحجّة الّذي
مضَى كنْتَ قوّاماً ولا كُنْتَ مُحْرِماً
فهلْ لك أن تمْحُو الذّنُوبَ بعبْرَةٍ
وتَبْكِي عليْها حسْرةً وتندُّما
وتسْتقْبِل العامَ الجَديد بتوْبة
لعلّك أنْ تَمْحُو بِها ما تقَدّما؟

أخي المسلم : إن الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء، فاسمع إلى كلام رسول الله ﷺ وهو يبين لك حقيقتك في هذه الحياة، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر يقول : «**إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك**»(أخرجه البخاري).

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : «**إنكم تَغْدُون وترُوحُون إلى أجل قد غيّب عنكم علْمُه، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا**». وقال عمر رضي الله عنه : «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن لكم، وتاهبوا للعرض الأكبر على الله.. ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾**». فحري بنا جميعاً أيها المسلمون أن نقف مع أنفسنا وقفة جادة للمراجعة والمحاسبة ماذا قدمنا لديننا؟ وماذا أضفنا لرصيدنا العلمي؟ وماذا قدمنا للمجتمع والناس؟ هل ازْدَدْنا قرباً من الله، واعتصاماً بحبله المتين، واقتداء برسوله الكريم، وهجرنا ما يغضب الله ورسوله وتخلّصْنا من قبائح أعمالنا أم ضيعنا كل شيء وساعتها نندم ولات حين مندم؟!

فاللهم يا أكرم الأكرمين يارب يا قريب يا مجيب نسألك ونحن كلنا أمل ورجاء أن تدخل علينا هذا العام الهجري الجديد بالخير واليمن والبركات والتوبة والإنابة إليك وحدك يا كريم يا مغيث، ونسألك أن تجعل المسلمين فيه على خير حال، وعلى كلمة سواء هي كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ". اللهم رُدّنا ورُدّ شباب المسلمين في كل مكان إلى دينك رداً جميلاً حتى نكون من الذين هاجروا ما نهيت عنه وأقبلوا بإيمان وصدق على ما أمرت به....

أما آن لنا أن نهاجر إلى الله حقا ونفرّ بديننا من بطش الفتن والمنكرات والمغريات والمعاصي التي حلت بنا من كل جانب؟! أما آن الأون لنا كباراً وصغاراً رجالاً ونساء آباءً وأمهاتٍ رعاةً ومرعيين أن نهجر كل مظاهر البعد عن ديننا؟!

الهجرة التي نريد

ذ. عبد الإله التازي

توطئة في شروط الاستخلاف :

إنّ استخلاف الله لعباده المومنين حقا، والتمكين لهم في الأرض سنّة إلاهية، ماضية إلى يوم الدين، كما أن سنّة الابتلاء وسنة التدافع بين الحق والباطل بين الكفر والإيمان بين النور الظلمات من السنن الكونية التي لا تتبدل ولا تتغير إلى قيام الساعة، وعلى أساسهما تتحقق سنة الاستخلاف والتمكين لدين الله في الأرض، قال تعالى : ﴿أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفاعُ الله الناس بعضهم ببعضٍ لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصُرنّ الله من ينصُره إن الله لقويّ عزيز﴾(الحج : 39- 40).

حدث الهجرة فرقان بين الحق والباطل :

فإخراج الذين آمنوا من ديارهم بغير حق إلا أنهم قالوا ربنا الله، سنةُ الذين كفروا. وما إخراج أبينا إبراهيم ونبي الله لوط عليهما السلام من ذلك ببعيد، هذا الإخراج الذي تنبأت به بصيرةُ ورقة بن نوفل في حكمة نافذة حينما قال لرسول الله ﷺ «ليتني أكون جدعاً إذ يُخرجكَ قومك»، قال ﷺ : «أومخرجيّ هم» قال : «نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا أوذي» فلن يأتي رجل قط بمثل ما جاء به رسول الله ﷺ إلا أوذي حيثما كان ومتى وجد، ولكن الله سبحانه وتعالى يمكن لدينه ولرسوله، فجعل من هذا الإخراج فتحا مبيناً لدينه وفرقاناً لعباده المومنين المستضعفين فقال سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾(الأنفال : 29- 30).

لقد كان حادث الهجرة فيصلا بين مرحلتين كبيرتين من مراحل الدعوة الإسلامية :

مرحلة ما قبل الهجرة أو ما يعرف بالعهد المكي.

ومرحلة ما بعد الهجرة أو ما يعرف بالعهد المدني، وكلّ مرحلة تختلف عن الأخرى تمام الاختلاف، لا من حيث أوضاع المسلمين ولا من حيث الدعوة الإسلامية وأغراضها.

فأما مرحلة ما قبل الهجرة فكانت مرحلة استضعاف وصبر على البلاء، عنوانها ﴿كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة﴾ وأما المرحلة الثانية فكانت مرحلة مدافعة وقتالٍ عنوانها ﴿قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا﴾.

كما أنها لحظة الميلاد الحقيقية للدعوة الاسلامية وللمجتمع المسلم الناشئ، ولهذا فإننا لا نبالغ إذ قلنا إنها ثاني أكبر حادث بعد حادث نزول الوحي.

فإذا كان نزول الوحي بمثابة لحظة نفخ الروح في جنين الدعوة الإسلامية وكانت المرحلة المدنية، مرحلة تكوُّن ذلك الجنين، فإن الهجرة كانت بمثابة إعلان عن استكمال خلقة هذا الجنين ومن ثم عن ميلاده وخروجه إلى الحياة، إذ من خصائص منهج الدعوة الإسلامية أنه فطري قال تعالى : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لكلمات الله ذلك الدين القيم﴾(الروم : 30). فلقد جاءت الهجرة بعد استنفاذ العهد المكي أغراضه والمتمثلة في بناء الفرد المسلم وتاهيله إيمانيا ليكون عُضوا فاعلا في جسم المجتمع المسلم الذي سيولد بالهجرة.

اقتران الهجرة بالإيمان والجهاد ودلالاته :

إن الهجرة برهانُ الإيمان وأساسُ الجهاد في سبيل الله حيث إن القرآن الكريم لا يتحدث عن الهجرة إلا وهي مقرونةٌ بالإيمان والجهاد وذلك من قبيل قوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله﴾(البقرة : 218)، وقوله تعالى : ﴿إن الذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾(الأنفال : 73).

فالهجرة في الآيات جاءت مرتبةً بعد الإيمان بالله قبل الجهاد وكذلك كانت مُرتبةً في السيرة النبوية إذ ليست هذه السيرة سوى تطبيق للمنهج الرباني في التمكين لدينه سبحانه. فمرحلة ما قبل الهجرة إنما كانت مرحلة لصناعة الإيمان أساساً في حين كانت مرحلة ما بعد الهجرة مرحلة لصناعة الجهاد أساساً.

إن الهجرة النبوية في نظر الإسلام وأهله -الذين يفهمونه حق الفهم- أعمقُ من تلك النظرة التاريخية التي يفهمها عامة الناس **فهي ليست حدثا تاريخيا عابراً مضى وانقضى وما ينبغي لها ذلك، بل هي هجرة معنوية روحية وسلوكٌ حضاريٌ واختيار تمليه الظروف، لا ترتبط بزمان ولا بمكان، إنها تعبير واضح عما يجب أن يكون عليه المومنون أفراداً وجماعات طوال حياتهم، إنها معنى حامل ولفظ كامل تظل نبضا حيا في قلوب المومنين وروحا تتجدد في كيانهم، تُذكرهم إذا غفلوا وتوقظهم إذا ناموا.**

إن باب الهجرة باقٍ ومفتوحٌ مابقي باب التوبة مفتوحا، وباب التوبة لا يُسَدّ حتى تطلع الشمسُ من مغربها، فالهجرة لم تنته بعد لأنها حركة دائمة وقيم ومبادئ وانتقال مستمر من حال إلى حال ومن مكان لآخر، تلزم المسلمين في كل زمان ومكان، فإذا كانت قد انتهت كحدث فهي باقية كقيمة في الأمة إلى قيام الساعة، أعلى مراتبها الهجرة من الكون إلى المُكَوِّن، وأول مراتبها الهجرة من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلال إلى الهدى، ومن المعصية إلى الطاعة، يقول ﷺ : «إنها ستكون هجرةٌ بعد هجرة»(رواه الإمام أحمد) وقال كذلك : «وإن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد»(رواه الإمام أحمد) وبما أن الجهاد لا ينقطع لقوله ﷺ : «الجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال»(رواه أبو داود) فالهجرة كذلك لا تنقطع.

فما علينا إلا أن ننظر في سيرة المهاجرين الأولين ونتمعن فيما مدحهم لندرك أن الله تبارك وتعالى ترك لنا باباً مفتوحاً لنيل رضاه ولإمكانية السير على تلك الخطى المباركة التي ساروا عليها بشرط اتباعهم بإحسان قال تعالى : ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾(التوبة : 100).

إن الهجرة المنشودة بحث عما يحقق صلاح النفس وإصلاح المجتمع وبحث دؤوب عن نجاح الدعوة لتحقيق أهدافها العليا.
والهجرةُ المنشودة حركة تجديد مستمر لتقوية عوامل النهضة في الأمة.
والهجرة المنشودة حركةٌ مراجعةٍ ومحاسبةٍ ذاتية وجماعية لتماسك صف المسلمين من داخله.
والهجرةُ المنشودة نقلة نوعية من الذنوب والسيئات ومن الشهوات والشبهات ومن مجالس المنكرات إلى رحاب الطاعة والقربات،
هجرة من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والاخرة.

الهجرة الباقية حكمها ومقتضياتها :

إن الهجرة المعنوية المستمرة الدائمة التي لا ينبغي أن ينفك عنها المسلم، والتي قال عنها الإمام بن القيم رحمه الله «إنها فرض عين على كلّ أحد في كل وقت، وإنه لا انفكاك لأحد من وجودها، وهي مطلوب الله ومرادُه من العباد، إذ الهجرةُ هجرتان : هجرة بالجسم من بلد إلى بلد وهذه أحكامها معلومة. والهجرة الثانية : هجرة بالقلب إلى الله ورسوله، وهذه الهجرةُ هي الهجرة الحقيقية وهي الأصل، وهجرة الجسد تابعة لها، وهي هجرة تتضمن "من" و"إلى" فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته، ومن عبودية غيره إلى عبوديته ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه، ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له إلى دعاء الله وسؤاله والخُضوع له والذل والاستكانة له.

وقال رحمه الله عن هذه الهجرة في كتابه "طريق الهجرتين وباب السعادتين" : هجرةٌ إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجوء والافتقار في كل نفس إليه. وهجرة إلى رسوله ﷺ في حركاته وسكانته الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفضيل محابّ الله ومرضاته، ولا يقبل الله من أحدٍ ديناً سواه وكل عملٍ سواه فعيش النفس وحظها.

الهجرة المنشودة اليوم :

تبقى الهجرةُ كما كانت حركة إصلاحية تغييرية في تاريخ الإسلام، فتاريخ الدعوات مرتبط بها يدور في فلكها ويسير سيرها.

إن الهجرة المنشودة بحث عما يحقق صلاح النفس وإصلاح المجتمع وبحث دؤوب عن نجاح الدعوة لتحقيق أهدافها العليا.

والهجرةُ المنشودة حركة تجديد مستمر لتقوية عوامل النهضة في الأمة.

والهجرة المنشودة حركةٌ مراجعةٍ ومحاسبةٍ ذاتية وجماعية لتماسك صف المسلمين من داخله.

والهجرةُ المنشودة نقلة نوعية من الذنوب والسيئات ومن الشهوات والشبهات ومن مجالس المنكرات إلى رحاب الطاعة والقربات، هجرة من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

والهجرة المنشودة اليوم هي هجرة كل أبناء أمتنا لكل مظاهر العصيان لله ولدينه وهجر الفساد والظلم والجهل والكسل والتخلف والتفكك والتخاصم إلى المراقي العليا في الطاعة والصلاح والعدل والعلم والجد في العمل والتقدم النافع والتوحد والتلاحم، والتنافس في كل أنواع الخير للأمة.

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص عنهما أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : أخبرنا عن الهجرة؟ إليك أينما كنت؟ أم لقوم خاصة؟ أم إلى أرض معلومة؟ أم إذا متّ انقطعت؟ قال : فسكت عنه يسيرا ثم قال : أين السائل؟ قال : ها هو يا رسول الله، **فقال له الحبيب ﷺ : «الهجرةُ أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ثم أنت مهاجر وإن متّ بالحضر».**

إن الهجرة المنشودة حركة انطلاقٍ تغييرية لبناء أمة وتكوين مجتمع وتشكيل حضارة وصياغة قيم وإعداد أجيال من الدعاة الداعين إلى الله على بصيرة.

المهاجر الذي نريد :

ولذا وجب أن نعي أن المهاجر الذي تريده الأمة المسلمة اليوم هو من توفرت فيه مواصفات ومقومات خاصة وكل منا مطالب بأن يعرض نفسه عليها، بحثا عنها في ذاته كي يستوفيها ويحقق بها.

إن المهاجر الذي نريده اليوم من يستصحب دائما نية الجهاد في سبيل الله بمعانيه الرحبة الواسعة والبانية.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استُنْفرتم فانفروا».

وإن المهاجر في سبيل الله اليوم هو من

تتمة : ص 12

مفهوم القيم في الإسلام

ذ. عبد المجيد بالبصير

معنى القيم في الإسلام وتجلياتها

يطلق لفظ القيم في الاصطلاح العام على مجموع التصورات الفردية والاجتماعية، إزاء الواقع المادي والحركي، وهي تبني -إجمالا وبشكل نسبي- للنسق الفكري اتجاهاته وفق معالم الصواب والخطأ، وللنظام السلوكي مواقفه وفق صوى القبول والرفض.

وفي الاصطلاح الإسلامي يطلق اللفظ على أصول المنظومة الفكرية والأخلاقية، من أمهات الفضائل ومكارم الأخلاق، التي يهتدي بها العقل إلى السداد النوراني، والقلب إلى الإخلاص الإيماني، والجوارح إلى الصلاح الرباني.

وعليه فالأعمال تجليات القيم، وإن اختلفت صورها باختلاف محالها التي ترجع إلى العناصر الجوهرية الثلاثة (العقل والقلب والجوارح)، التي تلتئم بها حقيقة الإنسان في القرآن.

أُصول ومجالات إصلاح الفرد

وقد رصد الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله في كتابه القيم "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام" ما يليق بكل منها من القيم ضمن ما أسماه "القسم الأول في أصول إصلاح الأفراد"(1) نعرضه موجزا، متصرفا فيه ببعض بيان فيما يلي:

● **العقل:** ويصدر عنه الأعمال التصورية التي يرجى بها صلاح الاعتقاد والتفكير بما يثمر النجاح في الحياتين، وقد حاطها الإسلام بما يضمن سدادها ورشادها بمكارم الفضائل العقلية، من أهمها:

1- التفكر العبادي في الخلق والأمر: وهو جولان قوة الفكر في الآيات، تكوينا وتكليفا، بالرنو في معانيها والاعتبار بحكمها، بما يؤدي إلى تقدير مدبرها سبحانه حق قدره. فالتفكر العبادي متى سدد بالوحي يقي العقل من الوقوع في مهاوي الكفر والشرك والتعطيل والخطأ في صفاته سبحانه.

2- الحزم: وهو حذر عقلي من الوقوع في الأرزاء التي قد يتعسر دفعها، أو يضيع في دفعها وقت ثمين، نحو الوقوع في شباك أهل النصب والاحتيال، سواء في حال الحرب ﴿وخذوا حذركم﴾ أو في حال السلم «لايلدغ المؤمن من جحر مرتين، والسعيد من وعظ بغيره».

● **القلب:** وتصدر عنه الأعمال القلبية التي يرجى بها تحصيل مقام التقوى للنفس، لقوله عليه السلام وهو يشير إلى صدره ثلاث مرات «التقوى ههنا» يعني في القلب، فالأعمال القلبية هي جماع قسم الأخلاق والضمائر التي سعى الإسلام إلى حفظها من الفساد من جانبين اثنين:

أ- جانب الوجود: حيث أمر بالتحلي بأمهات الفضائل القلبية التي هي سبب اكتساب الكمال والمجاهدة للنوال، وأهمها أربع:

أولها **الإخلاص في العمل: بحيث يندفع العامل إلى البر ابتغاء وجه الله،** لا لإرضاء الناس، **فهو بذلك مولد للطاقة.**

ثانيها حسن النية: وينبعث منه **محبة الخير العام وإتقان العمل الصالح، فهو بذلك مغذ للطاقة.**

ثالثها الإحسان: وهو أن يستحضر **العامل مراقبته سبحانه،** فهو بذلك **مجدد للطاقة.**

رابعها الصبر: وهو **ملاك ذلك كله توليدا وتغذية وتجديدا،** إذ به تربى النفوس على قوة الإرادة، فتبدد كافة مثبطات العمل، من نحو توهم ضعف المقدرة بالكسل، أو بإنكار الجهال ولوم اللوام، تحطيما للمعنويات.

ب- جانب العدم: حيث أمر بالتخلي عن أمهات الرذائل القلبية، إذ هي حائلة عن الكمال، موجبة لدوام النقص، وأعظمها خمس:

أولها وثانيها الكبر والعجب: إذ الأول حاصل بالجهل بقدر النفس، والثاني بالاعتداد المفرط بها، وكلاهما صارف عن اعتقاد الحاجة إلى الصلاح والكمال.

ثالثها الحقد: وهو ناجم عن البغض في غير الله، أي بغير موجب حق، صارف للهمة إلى الانتقام عن الاشتغال بما يفيد.

رابعها الغضب: وهو متلف للفكرة، سالب للمواهب، وفي الصحيح أن رجلا قال يا رسول الله أوصني، قال «لاتغضب» فكرر مرارا فقال «لا تغضب» وفي الحديث «لايقضي القاضي وهو غضبان».

خامسها الحسد: وهو ناشئ عن تمني زوال النعمة عن صاحبها، وفيه تقصير عن اكتساب مثلها حال القدرة، وعدم الرضا بما قسم له من ربه حال العجز.

● **الجوارح:** وتصدر عنها أعمال البدن التي تجري على ما يأمر به العقل والقلب المهيمنان عليها، ويرجى بها صلاح السلوك والممارسة، وقد صانها الإسلام بفضائل لا تبرز إلا بها، وأهمها ستة:

1- **النظام:** وهو عون على إكمال الأعمال وتيسيرها، وشاهده في الإسلام ترتيب أمور الخلق والأمر، إذ كل منها جار على نظام هو عين حكمته سبحانه ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾.

2- **التوقيت:** وهو أصل عظيم للمحافظة على القيام بالعمل، وعدم الغفلة عنه، وقد حدد الإسلام لأصول العبادات أوقاتا نحو وقوت الصلوات، ورمضان للصيام، وحولان الحول لزكاة النقد.

3- **الدوام:** ويقي من سوء الخاتمة التي هي في معنى إبطال الدوام على العمل الصالح، وفي الحديث «أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل».

4- **ترك الكلفة:** وهو وسيلة لما قبله، إذ به يندحر الملل والكلل، ويتجدد الأمل والعمل، وفي الحديث «عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لايمل حتى تملوا».

5- **المبادرة:** وهي تؤذن بالحزم خشية طروء الموانع، ومن ثم قدمت صلاة العيد على خطبتها، لأن المبادرة بالعبادة التي نيطت بذلك اليوم أولى.

6- **الإتقان:** وهو صرف العامل جميع جهده ومعرفته في عمله، ليكون محصلا لأحسن ما يقصد منه أو ينشأ عنه، وفي الحديث «إن الله يحب إذا عمل العبد عملا أن يحسنه أو يتقنه».

ولعل ما رصد الشيخ ابن عاشور رحمه الله لكل عنصر من العناصر الثلاثة، من أهم ما يليق به من القيم، إنما هو أوليات لما ينشأ بعد من القيم الاجتماعية المركبة نحو بر الوالدين وتوقير الجار، وإنجاد المستضعف ونصرة المظلوم وأداء الحقوق، ونحو ذلك من أجزاء الفعل العبادي المركب، مما يضمن تماسك النسيج الاجتماعي العام، في كنف ربانية الإسلام. ذلك **أن صلاح المجموع ينبني أساسا على استقرار القيم التعاملية واستمرارها في توطيد أواصر التعاون على البر والتقوى بين الناس، فهي بطبيعتها قيم متعدية، وإن انبنت في الأصل على القيم اللازمة الصادرة ابتداء عن حقيقة معنى التوحيد ولوازمه من القيم البسيطة، التي ينشأ عنها صلاح الآحاد دون صلاح المجموع بالضرورة. وعليه فمناهجنا التربوية، على اختلاف أشكالها ووسائلها، مدعوة لأن تصل بين جنسي القيم، بحيث ينبغي أن تشحن بقيم الصلاح الفردي، مثلما ينبغي أن تشحذ بقيم الصلاح الاجتماعي، مبني بعضها على بعض، إذ الأصل أن قيم القرآن المدني مبنية على تمثل قيم القرآن المكي.**

إن البعد التشييئي للحياة في العولمة المتغطرسة اليوم، قوى من وطأة الأهواء الشخصية والشهوات المادية حتى صارت معبودات للإنسان، مما أدى إلى تداعي التماسك القيمي على المستوى الفردي ابتداء، بحيث خفت جذوة المعاني التوحيدية في النفس، ومن ثم صارت كهرباء السلوك الاجتماعي العام المتماسك في حكم النضوب. فالبر بالوالدين مثلا، رغم أنه واجب شرعي وقيمة اجتماعية كبرى حاضنة لمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، على مستوى الأسر المسلمة الممتدة، إلا أنه آخذ منذ زمن في الانحسار، وبمختلف أشكال العقوق، سواء ما كان منها أعلى من التأفيف نحو القطيعة والشتم والضرب، أو ما كان أدنى منه نحو النظر شزرا.

وإنما يقاس مستوى الرشد في المجتمعات بما يشغل مثل هذه القيمة في المتن الأخلاقي، الذي ينبغي أن يذاذ عن حماه بالمتن التشريعي. قال الشيخ ابن عاشور عند تفسير قوله سبحانه في الأحقاف ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا﴾ "وقد تكررت الوصاية ببر الوالدين في القرآن، وحرض عليها النبي ﷺ في مواطن عديدة، فكان البر بالوالدين أجلى مظهرا في هذه الأمة منه في غيرها، وكان من بركات أهلها، بحيث لم يبلغ بر الوالدين مبلغا في أمة مبلغه في المسلمين".

مصادر القيم في الإسلام ومقاماتها

ويراد بالمصادر محاضن القيم الإسلامية ومنابعها التي تمتاح منها مادتها، وترسم من خلالها صورتها في النفس والواقع، وهي لاتكاد تخرج إجمالا عن أربعة أصول:

1- **النقل الصحيح:** أي ما صح من الوحي رواية ودراية، وهو أعلى الأصول البانية للنسق القيمي الثابت في الإسلام، كما أنه موافق لقيم ما بعده مطابق لها سواء بطريق التصديق أو بطريق الهيمنة، بحيث يحدد معالم الصواب والخطأ على مستوى التفكير، وصوى القبول والرفض على مستوى السلوك، حتى لايخرج المتبع لهديه عن قيم الحنيفية السمحة، إذ الحنف حقيقة الميل في المشي، والقصد ميل قيم الإسلام عن معتاد الضلالات سواء تعلق الأمر بباطل الاعتقاد أو بفاسد العمل.

2- **العقل الصريح:** وهو الذي يمد القيم العقلية -فيما هو طوع مقدوره- بآليات التسديد والترشيد بما ركز فيه من أفكار ومبادئ نحو السببية والغائية وعدم التناقض.

3- الفطرة السليمة: والمراد بها ما أودع سبحانه في أصل خلقة الإنسان من بديع القوة السوية، التي تحمله على توخي قيم الصلاح والإصلاح، والإذعان لمبادئ الحق ومكارم الأخلاق، وهي أيضا مقياس نفسي مترجم لقيم السعادة والشقاء على مستوى الإحساس، وفي الحديث «البر ما اطمأن إليه قلبك والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

4- الواقع الموضوعي الموافق لشرع الله : أي ما استقر واستمر من مظاهر الخلق على أصل صلاحه، إذ قوانينه مصممة على موافقة قيم هدى الوحي والعقل وأحاسيس الفطرة.

وأما مقامات القيم في الإسلام فتعكس مجالات تجسيدها في الواقع، وهي متأرجحة بين مقامين اثنين:

1- مقام التقوى والعدل: وهو مقام التحقق من العبدية لله بالاقتصار على حد الكفاية من القيم، امتثالا للفرائض من المأمورات، واجتنابا للكبائر من المنهيات، وأداء للحقوق من غير زيادة أو تطفيف.

2- مقام التقديس والإحسان: وهو مقام التحقق من الولاية لله، بالاستكثار من جلب المصالح وإبطال المفاسد، وذلك بمجاوزة الفروض إلى النوافل بالامتثال، والكبائر إلى الصغائر بالاجتناب، والعدل إلى الفضل بالإيفاء.

1- ينظر من ص 45إلى ص 80 طبعة مصنع الكتاب الشركة التونسية للتوزيع بدون تاريخ.

دعوة للكتابة

تقديراً لجهود المرحوم الأستاذ عبد اللطيف الحجامي رائد العمارة الإسلامية ستخصص جريدة المحجة عدداً خاصاً إن شاء الله تعالى للتعريف به وبجهوده في خدمة الأمة والحفاظ على العماره الإسلاميه.

ولذا فإننا ندعو أصدقاءه ومحبيه أن يسهموا في إنجاح هذا العمل بموافاتنا بشهادات في حق المرحوم ودراسات تتعلق بما قدم من جهود في خدمة العمارة الإسلامية.

متطلبات تربوية في زمن العولمة..

ذ محمد بوهو
Al_qalsadi2006@hotmail.com

في ظل حديث نهاية التاريخ، وفي ظل ما يسمى بالعولمة (أو الكوكبة، أو الكونية) والتي لا تعني سوى الهيمنة الأمريكية على العالم سياسيا واقتصاديا وقيميا.. ظهرت تيارات أو اتجاهات ثلاثة في العالم العربي والإسلامي :

× الأول، تيار الرفض للغرب ومحتواه الثقافي والأيديولوجي..

× الثاني، اتجاه يدعو إلى تمثل الغرب والذوبان فيه، ويرى ذلك سبيلا وحيدا للنهضة والتقدم وتطوير الذات والمجتمع..

× واتجاه ثالث يدعو إلى التفريق بين النتاج العلمي والتكنولوجي لهذا الغرب وهو ما يمكن أخذه والاستفادة منه، بينما يرفض ثقافته التي تتعارض مع المحتوى المقابل له في البيئة الحضارية الإسلامية...

ومن الملاحظ أن الاتجاه الثالث هو الطاغي اليوم في الأوساط المفكرة، ولكنه محط نقد شديد من لدن فئة النقاد المعاصرين، ذلك أن هذا التيار رغم تحريه للموضوعية في تناول مسألة التعامل مع الآخر ومحاولة التوفيق بين التيارين السابقين إلا أنه في نظر هؤلاء يبقى سبيلا لتكريس ما كان يَود تفاديه : فلا يمكن فصل التكنولوجيا والعلوم عن بيئة القيم والحاجات التي أنتجتها، فهذه الأخيرة لا تنفك عنها وهي لصيقة بها وعنوان لها أين ما حلت وارتحلت..

إن الأنساق التربوية في بلدان العالم الثالث أصبحت عاجزة عن مسايرة التحولات العولمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، زمن العولمة عالم جديد كل الجدة، فينبغي أن تحقق التربية طفرتها، وأن تنجز ثورتها بقفزة تستطيع بها أن تبدع نسقا تربويا ملائما، لن يلغي بالطبع النسق المتجاوز، ولكن يتيح التعامل الناجح مع المستجدات.. إذن لا بد من عولمة التربية أو تأسيس تربية مُعولمة متوافقة مع الواقع الجديد..

إننا نريد في هذه المناسبة أن نوضح أن كل ما قيل في موضوع المناعة أو الممانعة قد اقترف خطأ كبيرا في حق البعد التربوي القريب من الإنسان والمتحكم في تشكيل فكره وتوجهه، والذي يعتبر المسؤول الأساس عن كل ما آل إليه المجتمع من اختراق أو قابلية للاختراق..

إن عولمة التربية أو التربية المُعولمة هي "تربية من أجل عقل جديد"، وهذا يعني تحرير الإنسان وتغيير طرق عيشه في التعليم والتكوين، حتى الترفيه والعمل والإبداع، وإلى فتح آفاق واعدة لإغناء الحريات الفردية وترسيخ دور المواطن المشارك الفاعل المتفتح الشخصية..

سؤال: ما هي التربية من المنظور الحضاري العربي والإسلامي، والتي يمكن أن تساهم في بناء نظام المناعة والمحافظة عليه، وفي التمسك بالذات والهوية كجزء من هذا النظام؟ وما هي البُنى الأساسية التي تعمل من خلالها هذه التربية؟..

وإذا كانت التربية تعني العملية التي نقوم بها وبواسطتها نقل القيم والعادات والعقائد وأنماط السلوك إلى جيل آخر، وينبغي أن يحصل ذلك في إطار مستويات النمو كافة، وأن يتناسب في الوقت مع روح العصر كي لا يؤدي إلى الانغلاق المذموم الذي يدفع التربية بعيدا عن أهم أهدافها..

فإنها لابد أن تستند إلى ركائز ثلاث :

× نقل القيم والمعتقدات التي يعبر عنها لاحقا بالسلوك الإنساني..

× إتاحة الفرصة للنمو وتفتح القدرات الذهنية والجسدية وسواها..

× التلازم مع روح العصر ومتغيراته..

ولكن: **ما هي الصورة التي نريد أن تكون عليها التربية أثناء عملية التنزيل والتطبيق داخل المجتمع؟ والجواب المنطقي في هذا الصدد هو أن تستجيب التربية لشرطين أساسين:**

الأول : ألا نتخلف فيها عن روح العصر..

الثاني : ألا نتخلى في الوقت نفسه عن المرجعية والمعتقد التي نوقن بصوابيته وطريق الخلاص فيه..

ولو أردنا تقليب بعض الصفحات من التاريخ في هذا الصدد لكشفنا عن حقيقة، حيث **وقفت المسيحية في العصور الوسطى من تاريخ أوروبا ضد تقدم وتطور العقل الإنساني.. الأمر الذي أدى إلى ولادة ردة فعل عنيفة على كل ما يمت إلى الدين بصلة.. كانت نتيجتها ظهور نظريات شتى في كل الميادين مضمونها يقصي كل ما هو متصل بالله واليوم الآخر.. ونالت التربية نصيبها في هذه المكونات الفكرية، كانت خلاصته إبعادها عن الوحي وعن تعاليم السماء وأصبحت تنهل من خلفيات فكرية وفلسفية متنوعة..**

نعم، إن خلف كل فكرة تربوية فكرة فلسفية تقودها وتوجه الأسس والمبادئ العامة، وحتى التفاصيل.. وليس هناك تربية بدون فلسفة ومرجعية تضبطها وتوضحها.. بل تسعى كل فلسفة تربوية إلى تحديد غايات التربية، وعليها أن تجيب، في شأن ذلك، على سؤالين محوريين: لماذا نعلم ونتعلم؟ ما مواصفات الإنسان نتاج التربية المنشودة؟

وكما سبقت الإشارة إليه، فأن الفلسفة التربوية لا تنشأ من فراغ، فلا بد لها أن تستند إلى رؤية اجتماعية واضحة.. وهناك شبه اتفاق على ثلاث غايات رئيسية لا بد أن تفي بها التربية في كل عصر وهي: إكساب المعرفة، والتكيف مع المجتمع، وتنمية الذات والقدرات الشخصية.. وقد أضاف عصر المعلومات بعدا تربويا رابعا، ألا وهو: ضرورة إعداد إنسان العصر لمواجهة مطالب الحياة في ظل العولمة..

هذا الإعداد لتلك الصورة التي سيكون عليها الإنسان يصاغ عبر أطر ومؤسسات مناسبة، وعلى امتداد مراحل العمر المختلفة. والمؤسسات التي قامت بهذا الدور دوما هي الأسرة والمدرسة، وحديثا وسائل الإعلام والتكنولوجيا المتقدمة ومؤسسات المجتمع المدني.. هذه المؤسسات الأربع تشترك في امتلاكها الشعوب كافة وإن اختلفت في القوة والوتيرة. لكننا **في العصر الذي نعيش فيه، عصر الهيمنة الغربية الثقافية والعلمية والحضارية والسياسية والعسكرية، أصبحت الطرائق التربوية، في العالم الإسلامي على الأقل، تخضع عبر الإيحاء والتقليد المباشر إلى منظومة التأثير التي تنشرها وسائل الإعلام والتقنيات العالمية ذات المنشأ والمقاصد الغربية، أي أن العملية التربوية والعملية الإنسانية تخضع بدورها لهذا التأثير الذي تبثه تلك الشبكات الأخطبوطية من وسائل الإعلام على أنواعها، وهو تأثير يهدد جوهر الثقافة التي تحتضن الهوية ويتميز بها شعب من شعب..**

إذن الأمر يتطلب نهضة تربوية في البيت والمدرسة أولا، يتطلب انبعاثاً تربوياً حقيقياً يتيح التحول المنشود مما نحن عليه إلى ما نريده، وحين تتحقق هذه النهضة فإنها تستدرج نهضات أخرى..

وإذا سلمنا بأن البيت أولى المؤسسات التربوية التي يجب أن تقوم بالدور التربوي المطلوب، وأن البناء التربوي منه يبدأ وإليه يعود، فإننا سنركز على المدرسة باعتبار دورها الأساس كذلك في بناء الإنسان وتشكيل عقله ضمن تصور متكامل، ورؤية هادفة..

نعم، إن خلف كل فكرة تربوية فكرة فلسفية تقودها وتوجه الأسس والمبادئ العامة، وحتى التفاصيل.. وليس هناك تربية بدون فلسفة ومرجعية تضبطها وتوضحها.. بل تسعى كل فلسفة تربوية إلى تحديد غايات التربية، وعليها أن تجيب، في شأن ذلك، على سؤالين محوريين: لماذا نعلم ونتعلم؟ ما مواصفات الإنسان نتاج التربية المنشودة؟

من أجل مدرسة زمن العولمة

نعلم أن التربية السائدة في معظم النظم التعليمية المعاصرة في عالمنا العربي والإسلامي متأثرة إلى حد كبير بانظمة التعليم وأفكار التربية الحديثة.. هذا الأمر جر على مجتمعاتنا المشاكل والويلات.. إضافة إلى أنه لم تعد الدولة وحدها تتحكم في التكوين والتعليم، وأصبحت المؤسسات التعليمية الخاصة، مضطرة لمراعاة المعايير الدولية في التكوين المُعولم، كما أن التعليم يتجه إلى أن لا يبقى حكرا عل معلم ومتعلم، بل سيشمل الأسرة والوسط الاجتماعي ووسائل الإعلام بشكل واسع جدا...

من هنا ضرورة نهضة تعليمية سيكون لها شان خطير بالنسبة لمستقبل جنسنا البشري..وفي مقدمة هذه الجدة، نسبية المعارف والمعلومات التي تتداولها المؤسسة المدرسية مما سيؤدي إلى التربية على التسامح والاعتدال والتطلع إلى معرفة الآخرين المختلفين، دعما للمكاسب ومواءمة للتكوين مع المعايير العالمية.. والإسلام بصفته منهجا تربويا مشبعا بالفكرة العالمية، وبالوحدة الإنسانية، فإنه هو المؤهل بامتياز كي يكون قائدا لهذا النظرة المستقبلة، ورائدا لها، يقول تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعاملين﴾..

جاء في تقرير اليونسكو تحت عنوان: (التعليم ذلك الكنز المكنون)، التأكيد على الضروريات الأربع التي أوردناها في الإجابة عن السؤالين: لماذا نُعلم ونتعلم؟ وما هي مواصفات الإنسان نتاج التربية المنشودة؟ ما يلي: تعلم لتعرف، تعلم لتعمل، تعلم لتكون، تعلم لتشارك الآخرين.. وتتفق معظم الآراء على أن تربيتنا الراهنة منحازة إلى غاية (تعلم لتعرف) على حساب الغايات الثلاث الأخرى، خاصة فيما يتعلق بغاية (تعلم لتكون)، التي تهدف إلى تنمية قدرات الفرد ومواهبه، والاحتفاظ بهويته والاعتزاز بذاتيته..

ورغم أن تربيتنا الراهنة -كما قلت سلفا- منحازة إلى غاية محور (تعلم لتعرف) فإننا نسجل في هذا السياق الملاحظات التالية:

1- طغيان المادة التعليمية على أساليب التفكير والتحليل: كما هو معروف، تكتظ معظم مناهجنا بمادة تعليمية متضخمة، على حساب تنمية مهارات التفكير.. وتتوقف دورة اكتسابنا للمعرفة-عادة- عند حدود الإلمام به دون توظيف لها، وهو الأمر الذي يجعلنا عرضة للضياع والتبدد، ويشكو معظم طلابنا من نقص شديد في مهارات البحث عن المعرفة، وطرق تمثيلها منهجيا، وعرضها وتسويقها. ولكي يمكن للمدرس والمربي العربي تنمية مهارات التفكير لدى طلابه، لا بد أن يكون هو نفسه مالكا لها، وملما بأساسيات نظرية المعرفة وفلسفتها، وتاريخ تطور الفكر الإنساني وتحدياته الراهنة..

2- تشرذم معرفي: ما زالت نظم تعليمنا أسيرة التخصص، تنأى عن عبور حدود التخصصات وتعددها، ناهيك عن الازدواجية الثقافية الحادة التي أقامت جدارا من الإسمنت بين نصف مخنا الأيمن ونصفه الأيسر..

3- عزوف عن مواصلة التعليم :يعزف معظم متعلمينا، بل معلمينا أيضا عن مواصلة التعليم، يحدث ذلك في مجتمع التعلم واقتصاد المعرفة، الذي يفرض علينا مواصلة التعلم مدى الحياة. إن عدم التصدي لهذه الظاهرة، يفضي -بالضرورة- إلى تفشي اللاوعي والوعي الزائف وكل مظاهر الجهل والأمية، وتزايد المنضمين إلى جحافل بطالة عصر المعلومات، لعجزهم عن الوفاء بشروط التأهُّل العلمي المهني الدائمة التجدد والتعقد. إن عزوف الغالبية لدينا عن مواصلة التعليم، هو بمنزلة نزيف داخلي لعقولنا، لا يقل خطورة عن نزيف عقولنا الخارجي..

4- غياب مفهوم تنمية المهارات الذهنية الأساسية، كالاستنتاج والاستنباط الاستقراء، والتحليل بالتركيب، والتركيب بالتحليل، وترشيد استغلال موارد الذاكرة البشرية.. كنتيجة منطقية لأسلوب الحفظ والتلقين السائد لدينا، من مستوى رياض الأطفال حتى مستوى الجامعات، علاوة عن مهارات التواصل: قراءة وكتابة وشفاهة واستماعا، هي بمنزلة البنية التحتية التي تقام عليها البُنى المعرفية..

إن على التربية في المدرسة أن تكون لها رؤية جديدة تتمثل في إكساب المتعلم:

تتمة : ص 12

متطلبات تربوية... (تتمة)

القدرة على الفهم، وتطوير ملكة الحس النقدي، وتكوين الحس التركيبي والمحافظة على القيم المتأصلة، وتوسيع المرجعيات اللغوية مع التركيز على اللغة العربية وثقافتها، إضافة إلى تعميق حب العمل وتسليح الفرد ليكون في مستوى التنافسية التي يقتضيها سوق الشغل..أما من حيث الطرق الخاصة يفرض إضفاء الطابع الشخصي على العملية التعليمية، أن يتسع نطاق هذه العملية بوسائط مختلفة، وهذا ما سيتيحه (التعلم عن بعد) كمنهج تجديدي بل ثوري إلى حد كبير..

كما على التربية في المدرسة، إكساب المتعلم القدرة على تلمس المعارف من مواقعها العالمية المخزونة فيها ليمتلك تقنية معالجة ما هو معقد، وهو ما يميز الواقع العولمي.. حينئذ يجمع التعلم أو التربية التعليمية بين المنفعة والمتعة في آن واحد، أو ما كان يحلم به كثير من رجال التعليم: " مدرسة بدون آلام"..

على التعليم أن يهيئ طلابنا لأطوار العمل المستجدة وذلك من خلال: التعلم عن بعد، التعلم بالمشاركة، حيث يشترك أكثر من طالب في أداء المهمة التعليمية.. التعلم التكافلي، حيث يشارك الطلبة معلمهم في إعداد الدروس والقيام بتنفيذها، التعلم بالمراسلة..

التربية المُعولمة في نهاية المطاف هي التي تخوّل للفرد حصر أهدافه، واختيار منهج تعلمه وطرقه بمقرر في سعة العالم كله، هذه هي الثورة التي ينبغي أن نسعى لها لتربية موائمة لزمن العولمة.

من مقتضيات الإيمان وتجلياته

ذ إلياس بناني

إن الإيمان وحدة متكاملة بين جميع عناصره ومكوناته، لا تغليب لطرف على طرف ولا لجانب على آخر. وإذا كان قد تواتر من قول علمائنا أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، فذلك يعني حقيقة مفادها : صدق الظاهر والباطن، وتواطؤ القلب والقالب على طاعة الله عز وجل؛ لأن فقدان أي عنصر من عناصر الإيمان يؤدي إلى زعزعة الإيمان ككل. ولكن على تفاوت بالطبع في أهمية تلكم الأركان بين القلب والقول والعمل بحيث يحكم على من لم يؤمن قلبه وحسن عمله وقوله بالنفاق، وهو ما لا نجده عند فقدان العنصرين الآخرين اللهم إلا ما يترتب عنهما من الحدود والعقوبات الشرعية عند ورودهما في مظان مخالفة الشريعة والتذرع إلى أن يخرم أوامرها.

هذا يؤذن بأن على المسلم الاعتناء بإصلاح سائر علاقاته مع ربه ومع نفسه ومع غيره ثم مع الكون والمخلوقات عموما. وذلك معنى من معاني الصدق : أعني تصديق السر للعلانية، والقول للفعل وعدم وقوع الخلف بينهما. فالله سبحانه حكم على الأعراب أنهم لا يوسمون بالإيمان حتى يتوافق المظهر والمخبر على الطاعة والقرب. وعلى ذلك **فعنوان الإيمان وعلامة الصحة له هو المسارعة في الطاعات لله ولرسوله ﷺ وعدم التواني أو التقهقر حين توجه الطلب، بل حيثما وأينما طلب الرب عبده وجده، وذلك أول أبواب القبول، وأول خيوط فجر الصدق المشرق على القلب.**

غير أن صدق العبد يقتضي أبدا رؤية التقصير على كل حال في جميع ما يتقرب به إلى ربه ومليكه، ويعلم أن جميع أعماله وصدقه هو نفسه نعمة ورحمة ممن وسعت رحمته كل شيء جل في علاه وذلك من مقتضيات الختم باسمي الغفور الرحيم اللذين يفيدان مغفرة الرب لتقصير العبد ورحمته به فيما هداه إليه ووفقه. وهذا النظر هو حقيقة الإحسان بأن يعبد المرء ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الرب يراه. فيثمر ذلك في القلب استحضار الرقابة الإلهية على العبد، وذلك هو ما يؤدي إلى رؤية التقصير واستعظام الذنوب ورؤية المنة، **ثم يجلي الحق جل وعلا حقيقة الإيمان ككل من خلال حصر عناصر الإيمان في صحة العقد وصدق الفعل. وإن كان الفعل يتضمن القول والعمل عموما كما هو معلوم في محله وكذلك التروك بشرط نية التقرب بها إلى الله سبحانه. وذلك يعني التركيز على إصلاح البواطن بتزكية القلوب وصقلها بصدق المراقبة، وسقيها بالتعاهد والمداومة على الطاعات، ودرء كل ما من شانه خدش هذا الإيمان أو المساس به، ثم التركيز على الجانب العملي والتفعيل الواقعي لهذا الإيمان في المحيط الخارجي سواء على مستوى النفس تمثلا وتخلقا، أو على مستوى المعاملة صدقا وتحققا، أو على مستوى العبادة مسارعة وتشوقا.**

كل ذلك يجب أن يكون هو العنوان الناطق على صدق الصدق، والترجمة الحية على حياة القلب. كما قال الحبيب المصطفى ﷺ : "والصدقة برهان" أي دليل على الإيمان بأن ترى ثمرته على تصرفات العبد وأفعاله. فلذلك كان **من أعظم ما يجب الاهتمام به أن ينظر المسلم فيما قدمه لهذا الدين، وهو داعية إلى الله تعالى بحاله قبل مقاله. وهل رئيت بواكير إيمانه في وسطه دعوة وبناء وتنشئة وتربية؟** وهو مثال يحتذى في السلوك إلى الله تعالى والتدين عموما؟ ثم هل هو في حاله كما وصفت الصديقة بنت الصديق الطاهرة المطهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، رسول الله ﷺ بقولها : "كان خلقه القرآن"؟ بأن يكون العبد بدوره قرآنا يمشي على رجلين.

فالمطلوب العمل لدين الله تعالى عملا ودعوة، تمثلا وتربية، تفعيلا وتنزيلا، والنظر إلى عظمة ما عند الله سبحانه، وقبل ذلك النظر إلى عظمته جل جلاله، واستحقاقه لكل عظيم وإن كان لا يوفي بعظيم حقوقه تبارك وتعالى، وذلك ما ينتج رؤية تقصير النفس في جنب الله عز وجل وهو باب استرخاص الغالي والنفيس في سبيل الله، وسبيل مرضاته، وسبيل نيل ما عنده جل شأنه. والحاصل **إن المؤمن كل المؤمن مطالب بالعمل لدينه وأمته ودعوته، وأن مقتضى الإيمان هو ما يظهر في الوجود من آثار هذا الإيمان وما يقدمه كل واحد لهذا الدين عموما، فالإيمان نور يجب أن تنجلي بخيوطه ظلمة كل ما وقعت عليه "أولئك هم الصادقون".**

الثقافات الغازية

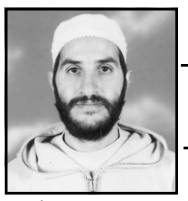

محمد الطوسي

أَنْعم أخي بغزو جديد! وأبشر بما يسرُّك! واستهلك ما يُنتجه الآخرون، ولا تسأل عن المصدر، قفْ ولا تتحركْ فقد قُيِّدتَ بسلاسلَ من المكر والخَداع، أرغمت على الانصياع والاتباع، فأنت الآن في موقع الاستهلاك، ولستَ مؤهلا بعدُ للإنتاج. فأنت مُستهدف من بعيد. يرمى إليك بالشرر. تُزَفُّ إليك باقات من المنتجات الغَرْبية الغريبة، تُرحب بها وتستقبلها استقبال المهزوم للهازم، والمغلوب للغالب، فقد تكون أخي إلى بعض المنتجات أحوج، وقد لا تستهويك أو لا تحتاج إليها بالمرة، وقد تبهرك للوهلة الأولى من النظرة الأولى فتمُرُّ عليها من باب الاطلاع على الشيء المجهول لديك. دفعك الفضول إلى الدنو منها وتَلَمُّسها قبل لمسها، فطبقت المثل السائر : "ألَّ ماشْرَا يْتْنَزَّيهْ" فإن اشتريتها فقد نُهمْتَ بها. وإلا فقد تَعْقد العزم على شرائها يوما ما.. بغض النظر عن ثمنها وقيمتها ومحتواها وما ترمز إليه، تلك إذا هي المنتجات الغازية -من فعل غزا يغزو فهو غاز وهي غازية- بما فيها المأكولات والمشروبات والملبوسات ووسائل اللعب والترفيه وما ينتج عبر الأقمار الاصطناعية من أفلام هابطة، ورقصات ماجنة ساقطة، وأغاني فاحشة، وما يخلفه كل ذلك من تضييع للوقت في غير منفعة، وتبذير للمال في غير مصلحة، وتخدير للعقول، وتدمير للقيم والأخلاق، وتشويه لصورة الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم، وشل للحركات، وقطع للصلات بين الأهل والأقارب. إنها منتجات غزت القلوب قبل الجيوب، وسحرت النفوس قبل الرؤوس، وشغلت الكبار قبل الصغار، فإن كانت المأكولات والمشروبات الملبوسات زائلة بزوالها، لأنها مادة، والمادة فانية، فإن الثقافات أو سَمِّها -التفاهات- لا تزول، بل تُنمى وتغرس في النفوس. وتظل حية في مخيلة المرء فيبرزها بين الحين والآخر على أرض واقعه، وتُروى وتُحكى وتُطَبَّق فتصبح شيئا مسلما به.

سابقا كانت وسائل الإعلام من تلفاز وفيديو...الخ غير معروفة لدى الشعوب الإسلامية فلما عرفتها وعرفت -آنذاك- مخاطرها، حذر كثير من العلماء منها وأفتى المفتون حينها بعدم جوازها لأنها تشكل خطرا على تربية النشء.. ومع مرور الوقت اكتسحت الأسواق وأُدخلت البيوت رغما عن الأنوف.. فصارت شيئا مقبولا بل مرغوبا به حتى من قبل المانعين. وما يهمنا الآن هو مُنتجات تلك الوسائل، وهل هي ضارة أو نافعة؟ وما المقبول منها وما المرفوض؟ فالثقافات وليدة الشعوب، وعمارة ماض تليد، ولكل شعب ثقافته، ولكل ثقافة خصوصية. فمن الشعب انطلقت وإليه تعود، وله تصلح، ولا يمكن تقليدها، أو نقلها من بيئتها، أو إرغام شعب آخر على تقبلها، بإصدارها عبر الواردات والمنتجات فذلك هو الغزو نفسه.. غزو بدون سلاح، فليحذر العاقلُ وليوطن نفسه، ولا يكن إمَّعةً ومجرورا نحو ما يرديه؛ فوراء الأكمة ما وراءها!!!

الهجرة التي نريد (تتمة)

يطلق قدرات نفسه وامكاناته ومهاراتِه ومواهبه نصرة لدينه، وهو من يطلق لفكره وعلمه كلّ الآفاق لنشر دعوته.

وإن المهاجر في سبيل الله اليوم هو من يتحلل من كل قيد يقعده عن الحركة بدينه خجلا وحياء، أو خوفا وجُبنا أو كسلا وضُعفا.

وأن المهاجر في سبيل الله اليوم هو من يهجر المحرمات والمعاصي ويبتعد عن الفواحش والمنكرات والذنوب صغيرها وكبيرها وكلّ ما يهبط بالمرء عن درجات التكريم الإلهي، قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿والرِجْزَ فاهْجر﴾.

وأن المهاجر في سبيل الله حقا من يهجر كلّ ما لا يليق به كحامل دعوة، من خلال النقد الذاتي البناء والوقوف على الأخطاء، لمعرفة الهُوة التي بينه وبين ما تريد منه دعوته.

إن المهاجر في سبيل الله حقا هو من يهجر حياة الفردانية وعيشة الانعزال والحياد والتفرج على أحوال الأمة إلى العيش لها ومعاناة همومها والتطلع إلى آمالها، وإيثار المصلحة الجماعية والسعي في الصالح العام وهجر الغثائية ووضع القصعة والاندماج في سلك جماعة المومنين المتمسكين بالحق المدافعين عنه الذين يغارون على ثوابت الأمة ومقدساتها ويقومون بواجب نصرة الدين ويحاولون بناء مشروع الأمة المنهار وإعلاء رايتها الساقطة ورفع قيمتها الهابطة واستعادة مكاسب الهجرة والمحافظة عليها والبناء عليها.

إن حظ المؤمن من رضوان الله الذي فاز به المهاجرون الأول ينتظره بشرط أن يفعل ما فعلوا من هجرة ونصرة وجهاد بنفسه وماله ويوظف كل إمكانياته في سبيل ذلك. قال تعالى : ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المومنون حقا، لهم مغفرة ورزق كريم، والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾(الأنفال : 74+ 75)، وقال ﷺ كما عند أبي داود والنسائي : «عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية».

واسمع إلى كلام ابن الجوزي رحمه الله الذي يجيب كلّ من يستصعب اللحاق بهؤلاء المهاجرين الأولين يقول رحمه الله : «ولا تستصعب طريقهم فالمعين قادر، تعرض لمن أعطاهم وسل فمولاك مولاهم رُبَّ كنز وقع به فقير، وربّ فضل فاز به صغير، عَلَّم الخضر ما خفي عن موسى، وكَشَف لسليمان ما حجب عن داود»(المدهش ص 428 ابن الجوزي تحقيق د. مروان قباني).

فإذا أردت أن تكون في قافلة المهاجرين الأولين فاعزم رعاك الله عزمة التابعي الجليل أبي مسلم الخولاني إذ يقول : «أويظن اصحاب محمد أن يستأثروا به دوننا؟ كلا والله لنزاحمنّهم عليه زحاماً حتى يعلمون أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا»(إحياء علوم الدين 436/4 أبو حامد الغزالي).

والأمة حبلى في كل زمان برجالها الصادقين، والأمة قادرة في كل زمان على انجاب وصناعة أجيال وأجيال يتخلقون بأوصاف المهاجرين في قوة الدين والعلم والحلم والتضحية.

مجرد رأي

عصر الذرة والتفكيك والاستنساخ!!

د. الطيب الوزاني

الملاحظ لواقعنا المعاصر لا يسعه إلا الإقرار بما وصلَ إليه التقدم العلمي من قدرات هائلة على تفتيت الجسم المادي وتفكيكه، وأنه بفضل هذا التفكيك استطاع العلماء أن يصلوا إلى الكشف عن أسرار المادة والتحكم فيها وفي حركتها وتفاعلاتها بل والأكثر من هذا صنع ظواهر مادية وحية مماثلة.

وأصبح كل واحد منا لا تخطئ عيناه من ملاحظة أن العلم في عصر القرن العشرين وما بعده حقق ثورتين عظيمتين: الأولى في تفكيك الذرة إلى عناصرها الصغرى وإمكان التحكم فيها بالصنع والتحويل ومزيد من التقسيم والتشطير والتخصيب فازدهرت عقب ذلك الصناعة الذرية أو النووية (للدلالة على التشطير أكثر) وقد كان ذلك في بداية القرن العشرين وتحديدا سنة 1905 حينما اكتشف إينشتاين قانون الذرة.

والثانية في تفكيك الخريطة الجينية والكشف عن مكوناتها وشفراتها وما أتاحه هذا الاكتشاف من إمكان التحكم في الخلية الحية بالصنع والتحويل ومزيد من التفكيك والتشظي والتجزيء والتخصيب أيضا، وكان ذلك عام 1995

حتى الفلسفة والفن والأدب والعلوم الإنسانية لم تسلم من ظهور آراء تتبنى التفكيك والتشظي!! وهي التي لُقِّنت لنا بإكراه كبير في تعليمنا ولقناها ونلقنها لناشئتنا بنَهَمٍ منقطع النظير، ورغم أنها تدعو إلى الاختلاف والتعددية لكن الويل والثبور لمن لا يقبلها!!

والدول التي امتلكت قوانين التفكيك في المادة الجامدة (الذرة) والمادة الحية (الخلية) امتلكت القدرة في التحكم عن بعد في هذه المادة وتوجيهها عن طريق التشغيل الذاتي أو التحكم عن بعد؛ وهذه الدول هي التي أصبحت مالكة لزمام التقدم والحضارة والريادة وصانعة النظام الدولي وتملك وحدها حقوق هندسته وتشكيله وتشغيله ذاتيا ليكون قابلا لأن ينشطر لذاته وقابلا لأن يُتَحكَّم فيه عن بعد كما تملك حقوق الهندسة النووية والجينية والتحكم الأوتوماتيكي فيها.

وهذه الدول التي منعتنا من امتلاك مفاتيح التفكيك العلمي للذرة والخلية والتقنية، هي التي سمحت لنا من غير قيد ولا شرط في استيراد نظريات التفكيك والتشظي في الفن والأدب والفلسفة والأخلاق والأسرة والاجتماع والسياسة!!

ولا يستغربن أحد بعد هذا إذا قلنا إن من امتلك الحق الطبيعي في التفكيك الذري والتفكيك الجيني يحق له أن يمتلك الحق المدني في التفكيك السياسي والثقافي والديني والجغرافي، ومن كان مهندسا في عالم الطبيعة والحياة فلا ينازعه أحد في أن يكون مهندسا للسياسة الدولية ولحياة الدول والأنظمة والشعوب والمجتمعات وقادرا على مزيد من التحكم فيها بالنسخ والتخصيب والتوليد والتفريخ والتفكيك والتشظي والتجزيء لأن القاعدة تقول الحقوق المدنية مبنية على الحقوق الطبيعية!!

حقا إننا في عصر التفكيك بامتياز: تفكيك الذرة والخلية والإنسان والمجتمعات والدول، عصر تفتيت الدول وهندسة مكوناتها وتوليد كيانات جديدة قابلة للانشطار مثل الذرة، وقابلة للاستنساخ و"الاستمساخ" (من المسخ كما أفضل تسميته) مثلما هو الحال في المورثات الجينية وعلم الهندسة الوراثية وعلم "الاستنساخ"!!

حقا إن عصر الدولة تزامن مع عصر الذرة، وعصر تفكيك الدولة وتفتيتها تزامن مع العصر النووي والجيني (تشطير الذرة والخلية)

حقا إن توليد كيانات من رحم الدولة والتحكم فيها عن بعد لتفجيرها في الوقت المناسب تزامن مع عصر التكنولوجيا والأوتوماتيك!!

حقا إننا نعيش عصرنا بامتياز!!! عصر التدخل في حرمات الدول وسيادتها باسم إحلال الديمقراطية وحقوق الأقليات واحترام حق تقرير المصير، والرأي المخالف، ولو بأسباب وذرائع مفتعلة وقهرية.

لقد أصبح للكبار حق هندسة حال أي دولة وتشكيله بالمقاس الذي يخدم مصالح الكبار ويحفظ أغراضهم ولو أدى إلى أن يخرم مصالح الصغار ويهتك أعراضهم!!

إن العين لا تخطئ أننا في العالم الإسلامي دخلنا عصر "الذرة والتخصيب الذري" من بابه الواسع في نفس اللحظة التي اكتشف فيها الغرب الذرة (القرن 18) فبدأ كثير منا يحرز استقلاله "القومي" ويخرج من هيمنة "الإمبراطورية" العثمانية أو أشباهها في الشرق الإسلامي وهللنا فرحين بتحقق أحلامنا في "الاستقلال" في شكل دول مستقلة كاستقلال الذرة.

كما أن العين لا تخطئ أننا واصلنا تقدمنا ومواكبتنا للعصر فعندما دخلت أوروبا وأمريكا عصر الانشطار النووي والجيني والتحكم عن بعد، دخلنا نحن عصر التشطير والتشظي السياسي والتفكيك الأسري والاجتماعي وهللنا بالتعددية الحزبية الفارغة وشجعنا الطائفية القاتلة وترنحنا لمزيد من الانشطار داخل الدولة الواحدة وقبلنا بطواعية -كما تقبل الذرة والخلية- أن نخضع للهندسة من جديد وإعادة التشكيل وقبلنا بأن يتحكم فينا عن بعد!!

بلدان كالعراق وأفغانستان وباكستان ولبنان وفلسطين والسودان والصومال ومصر واليمن وتركيا وإيران (والقائمة طويلة) كلها دخلت، وبدرجات متفاوتة - والحمد لله الذي لا يحمد على خير ولا على مكروه سواه- عصر التفكيك والتشطير والتلاعب الجيني بمجتمعاتها وطوائفها وقومياتها وأحزابها!!

وكل الدول العربية والإسلامية هي قيد الدراسة والإعداد للهندسة السياسية وإعادة التشكيل ومزيد من التشظي والتفتيت طوعا أو كرها، هكذا يجب أن نقبل الحقوق المدنية للكبار التي هي حقوق طبيعية تنبني على القوة وليس على القانون، وتنبني على الوحشية وليس على الشرعية!! (وبالمناسبة نسأل الله أن يحفظ بلدنا المغرب مما يحاك له من مؤامرات التفكيك والتفتيت وسائر بلاد المسلمين)

فبئس هذا العصر إن كنا نحن وحدنا فيه من يتوجب عليه أن يفكك، وبئس النظام العالمي هذا إن كنا وحدنا الذين نُهندَس ونُعدَّل ونُخصَّب فنُفرِّخ كل مرة حزبا من داخل حزب ونستنسخ طوائف متناحرة من طائفة أم، ونلد دولا متحاربة بالوكالة من دولة واحدة (العراق= 3 دول، السودان= 4 دول،

تتمة ص: 15

أمة اقرأ لا تقرأ...

ينتابني شعور بالغبن وغير قليل من الانقباض والألم كلما حل شهر أكتوبر وحلت معه مراسيم توزيع جوائز نوبل على مستحقيها من جميع أصقاع العالم في شتى أصناف العلوم والإبداع. وأنا أتابع هذه المراسيم، أتساءل مع نفسي لماذا يا ترى لا يكون أحد منا نحن المسلمين والعرب من مستحقي هذه الجوائز حتى ولو كانت مناصفة؟ فلماذا نستثنى أوعلى الأصح نستثني أنفسنا من هذا التتويج ؟ لماذا لا تنتج مدارسنا وجامعاتنا ومعاهدنا العلمية المنتشرة في كل مكان (ما شاء الله) عالما أومبدعا واحدا يستحق جائزة أونصفها أوحتى ربعها؟؟؟

أطرح هذه الأسئلة وتعود إلي الأجوبة وهي حاسرة منكسرة تكاد تتميز من الغيظ مستعرضة حال هذه المدارس والجامعات والمعاهد التي تسمى علمية تجاوزا لأنه مع الأسف الشديد أضحت مصانع ضخمة لتجهيل الأجيال وتمييع أذواقهم ولا تكاد تخرج في المحصلة سوى أجيال من الفاشلين والفاشلات والعاطلين والعاطلات. لا لضعف في قدراتهم الفكرية وإنما لبؤس وسطحية المناهج التربوية التي يتم تجربتها عليهم جيلا بعد جيل. وللإشارة فكلها مناهج فاشلة لم تُؤْتِ نتائجها حتى في بيئتها فجربت على أبنائنا، وقد أصبحوا فئران تجارب تجرب عليهم كل البرامج والمناهج الفاشلة، فكانت النتائج كارثية : أجيال ممسوخة فلا هم من هؤلاء ولا من هؤلاء!! لا هم استفادوا من ثقافة الغرب ومن إبداعاته وتقدمه العلمي والتكنولوجي ولا هم حافظوا على مقومات دينهم وحضارتهم واعتزازهم بثروات أجدادهم الذين ملؤوا الدنيا من أقصاها إلى أقصاها علما ونورا وحضارة راقية لا زال العلماء المنصفون في الغرب والشرق يعترفون لأهلها بالفضل والمنة. ففي الوقت الذي كان فيه أطفال المسلمين يقرؤون ويكتبون كان القساوسة والأمراء في الغرب يتهجون الحروف والكلمات، حتى كان الأمراء وعلية القوم في الغرب يبعثون بأبنائهم لتلقي العلوم في الجوامع والمدارس الإسلامية كجامع القرويين والأزهر والزيتونة وقرطبة بالأندلس وجامع الأمويين بسوريا أو جامع بغداد أوالكوفة بالعراق وغيرها كثير مما كانت تحفل به حواضر الدولة الإسلامية في فترات عزها وسؤددها وريادتها الحضارية والفكرية والعلمية. وأخشى ما أخشاه أن يصدق فينا ما وصفنا به رئيس وزراء العدو الصهيوني السابق موشي دايان في معرض حديثه عن العرب فقال (إن العرب لا يقرؤون وإذا قرؤوا لا يفهمون وإذا فهموا لا يطبقون).

فلَوْ كُنّا نقرأ كما أمرنا ربنا عز وجل لما كنا في هاته الحال التي نحن فيها الآن وقد صرنا في مؤخرة الأمم بعدما كنا في المقدمة كما ارتضى لنا ربنا ذالك وقد جعلنا كما قال في كتابه العزيز : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله﴾ فلم نتعلم بعد أن نقرأ ونتعلم باسم الله حتى يبارك الله لنا في علمنا وينفعنا به حتى ننفع به العالمين لأننا مأمورون بذالك ﴿وكذالك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ فكيف سنشهد على الناس غدا يوم القيامة وترتيبنا غالبا ما يكون في المؤخرة أوقريبا منها؟! كيف نشهد على الناس وبأسنا بيننا كمسلمين وعرب شديد حتى لا تكاد تجد دولتين مسلمتين أوعربيتين متجاورتين إلا وبينهما من الضغائن والأحقاد والأزمات وحتى الحروب ما تشيب لهوله الصبيان؟! وراجعوا إن شئتم فواتير الأسلحة والمعدات الحربية التي يقتنيها العرب والمسلون كل سنة وجلها رابض في الموانئ وقد علاه الصدأ ولم يعد ينفع، كل هذه الثروات تصب في المحصلة في خزائن الغرب وتجار الحرب وموقدي الفتن بين المسلمين والعرب وهؤلاء ساهون ولا يعرفون بعد ما يراد بهم وبشعوبهم وبعضهم يعرف ذالك ويقدم عليه عن سبق إصرار وترصد.

ولنا أن نتصور جدلا أن كل هذه الثروات الهائلة تذهب إلى تقوية البحث العلمي الجاد في جامعاتنا ومعاهدنا من أجل تحسين تعليمنا ومناهجنا التربوية وتشجيع شبابنا على طلب العلم والتفوق فيه وما أظن أن شبابنا أقل ذكاء ونبوغا من غيرهم بل الوقائع تثبت تفوقهم ونبوغهم في العديد من المجالات عندما يتلقون الدعم والعناية الكافية، بل وقد أثبتوا تفوقا خارقا وحتى وهم في ظروف صعبة وعسيرة للغاية ولنا في شباب فلسطين المحتلة أقوى دليل على ذالك، فبالأمس قرأت عن شاب فلسطيني معاق استطاع أن يخترع أسرع سيارة في العالم تسير بالطاقة الكهربائية وقد تفوق سرعتها 270 كلم في الساعة وتشحن ذاتيا في الطرق الشديدة الارتفاع، وقد ركب هذا الشاب سيارته من قطع سيارات قديمة. وعرض الاختراع في إحدى المعارض الدولية ونال إعجاب وتقدير جميع المهتمين. وفي السنة الماضية حصلت الجامعة الإسلامية بغزة على الرتبة الرابعة على مستوى العالم العربي والإسلامي، متفوقة بذالك على كبريات الجامعات والمعاهد في العالمين العربي والإسلامي رغم الحصار ورغم قلة ذات اليد وشح الإخوة وجفوة الصديق وتنكيل العدو.

إن طريق العلم طريق تفرشه الملائكة بأجنحتها إكراما وتقديرا لطالبه متى كانت القراءة ﴿باسم ربك الذي خلق﴾ عندها فقط يكون العلم ممتعا ونافعا ومسعدا في الدنيا والآخرة، فمن أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم، فبالعلم كرم الله بني آدم وأسجد له الملائكة إكراما له وتقديرا لما وهبه الله من علم. وبالعلم دخلت هذه الأمة التاريخ وبتخليها عن العلم هاهي اليوم تخرج منه، فهانت على أعدائها والطامعين في خيراتها، ماضيها القريب مستعمر وحاضرها مرهون لدى صندوق النقد الولي ومستقبلها لا تملكه!!

ذ. عبد القادر لوكيلي

من أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

عن سيريلانكا التي في القلب سأحكي

سفينة نوح... سفينة تيتانيك

1- في الحاجة العاجلة إلى الكلمة الطيبة :

إلى أين نمضي؟

سؤال أليم النزغ، تقرع أجراس هلعه بداخل الإنسان كلما انسحب من لغط الدنيا، وانغمار الكائنات في شرنقة خيوطها العنكبوتية اللزجة الفاتنة واتخذ سبيله في عزلات تأملية لهذا الواقع الموار بالانهيار الروحي للعباد، المتبوع بانبطاح الأجساد إلى الأرض.

فما عادت تثير شهية الكائنات إلا فرقعة السلاح وشقشقة الدماء وعفونة المكائد والمؤامرات ونفسية ما أريكم إلا ما أرى..

والمرير في هذا الكرنفال الدرامي أن ينحسر الحياء من الخالق حد الإستعلان بالفاحشة بل الإستقواء بسيل الداعمين لهذا التردي شرقا وغربا على الخصوص، حتى غدا العاضون على قشة الاستعفاف هم المتوجسون من ضربات ما فوق وتحت المائدة، الفارون بدينهم وقيمهم إلى عزلات آمنة عبثا.

ولا حاجة للإنسان، للوقوف على هذا الوضع السوريالي إلا العودة إلى الإنترنيت وإلى قصاصات الجرائد ومشاهد المحطات الفضائية المتراكضة لانتزاع سبق عرض لوحات الجثث المتناثرة والبيوت المنسوفة نسفا ليطالع بالملموس المهووس حجم التراشق بأسلحة الدمار الشامل في كل الاتجاهات وبكل الأصناف، ولم يسلم من هذا التردي أي مجال بدءا بالسياسة وانتهاء بالفن.

وبالمناسبة فكم أحزنني حد الشعور بالرغبة الجامحة في البكاء أن أرى على شبكة الانترنيت فنانة مغربية متقدة الموهبة والذكاء ولها رقعتها المميزة في قلوب المغاربة وهي تسلم جسدها وشفتيها لممثل مصري يعيث فيها هتكا باسم حيادية الشخصية الفنية وانسلاخها عن ذات الفنان وضرورة الفصل الحضاري بينهما، الشيء الذي حدا بهواة الاصطياد في الماء العكر إلى "جنسنة " المرأة المغربية وجعلها دراكولا جنسي عالمي ومثلث برمودا لخطف رجال النساء الآمنات في شرق الكرة الأرضية وغربها.

وفي جهة أخرى من هذه الفسيفساء المكدومة رأينا بقلوب مدماة كيف استحالت الدماء ماء وكيف خطط عسكر الشقيقة الجزائر لإحالة منطقة مغربية إلى ساحة وغى قدم فيها المواطنون السذج حطبا لإشعال فتيل السحل والذبح لخدمة أجندة استعمارية ظاهرها حق الشعوب في تقرير مصيرها وباطنها التمدد إلى المحيط الأطلسي ولهف ثروات الأرض المغربية أثناء المرور..

وفي جهة أخرى من هذا الكوكب المسجور، طلع علينا مؤخرا موقع أمريكي بأخبار تصفية وحشية لأبناء الشعب العراقي باسم تحرير هذا الشعب من الطواغيت وتعليمه قيم الحداثة والديمقراطية.

وما يقع في السنوات الأخيرة بالقارة السمراء من قتل بالجملة واغتصاب جماعي للنساء الإفريقيات الفارات من جحيم الحرب شيء مخز، تردت معه الإنسانية إلى زمن الكهوف.

ودون أن نبارح مربع همومنا القومية نتوقف عند عرابة الأحزان العزلاء فلسطين، وما يحاك من أهلها لأهلها بالداخل، وجيرانها بالخارج لإماتة آخر أنفاس المقاومة، وإدخال المنطقة إلى مربع الركوع التام مقابل السلام الشفوي المشوه.

كلام كثير لشلال نزيف يعجز القلم عن الإحاطة بشياطينه من المردة الممسكين بدواليب السياسة والاقتصاد والثقافة والفن إلخ.. لإحالة الناس إلى بهائم في اتجاه تجميد قدراتهم الدفاعية وبالتالي لهف أرزاقهم ومصائرهم.

لكن مهلا، ألم يقل سبحانه ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾

ألم يقل سبحانه ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ وبصيغة أخرى فإن انحسار عظمة الله سبحانه واتساع رقعة الدنيا وسطوتها في قلوب العبيد، عملقت أولئك المردة والشياطين الورقيين وزينتهم للناظرين، وغرست الهيبة منهم، فعاثوا في الأرض فسادا ودمارا ولصوصية وإرهابا، والأدهى أن حبكتهم الشيطانية لسيناريوهات سعيهم في الأرض ليفسدوا فيها ويهلكوا الحرث والنسل، جيشتهم لانتزاع معطف الإرهاب عنهم وإلصاقه بالمسلمين، ليواصلوا مسلسل البلطجة عبر العالم بلا حسيب ولا رقيب، فما العمل؟؟

إن عملية الإنعاش العاجلة تستدعي الهبة الدعوية في كل المجالات، هبة أهل الإصلاح لإشاعة قيم الدين قيم النقاء والحياء.

ألم يقل رسول الله ﷺ إن الإيمان والحياء قرناء، ولن تتم هذه الهبة لاستعادة الإيمان والحياء إلا ببذل الأقدام من أجل الدعوة لاستتباب العفة وأخلاق الإنسانية الرشيدة . وإذ يتحرك الغيورون الأتقياء للتدافع الحضاري لا الإرهابي، سيهدم الجبار في بارقة سدود القيم المغشوشة، كما فعل بقوم لوط وأضرابهم على مر العصور.

إن جوارح الإنسان وأعضاء جسمه في سعيها للتواصل مع الله عز وجل في ركن الصلاة تخرج من حالة السكون إلى حالة الحركة قياما وركوعا وسجودا وتلاوة.. وهي أيضا من أجل التواصل مع الناس تحتاج إلى الخروج، من حالة السكون إلى حالة الحركة، بدعوة القول واليد والقدم لذا خاطب المولى سبحانه رسوله الكريم لتحريضه على الخروج إلى الناس بقوله تعالى :

﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾، ولقد كان لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة وهي الأسوة التي أوقدت الرغبة الملحة في التأسي به بداخلنا و جعلتنا نواصل مسيرة الأقدام في هذا البلد الطيب سريلانكا، لنعيش أياما استثنائية رأينا فيها عجبا.

2- ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به :

حين انتهى الشيخ المغربي من حديث شائق عميق حول الدعوة إلى الله عز وجل وهو الحديث الذي سأنقل تفاصيله في الحلقة القادمة إن شاء الله، كانت النساء السريلانكيات كما لو دبت فيهن الحركة من جديد، وهن اللواتي كن كتماثيل من رخام والشيخ المغربي يلقي درسه لشدة تركيزهن (من شدة ولعهن بالإسلام) على الكلمات حروفا ومعاني وهي تخرج مسترسلة من فم المترجم السريلانكي، يعدن متلهفات للتحلق من جديد حولنا بغية النهل من كل كلمة تصدر من أفواهنا حول الإسلام،

وأثناء ذلك داهم المترجمة السريلانكية لكلامنا على حين غرة مغص حاد جعلها تطلب استدعاء زوجها لحملها إلى المستعجلات، فانكبت ربة البيت على تلاوة آيات الشفاء والدعاء لها في انتظار وصوله، والمترجمة هي الأخرى تتمتم بما تحفظه من قرآن كريم.

لكن حدة الألم أصبحت لا تطاق، ووجَدْتُني، شفقة عليها، أقوم لأجلس إلى جانبها وأضع يدي على بطنها وأقرأ عليها ما تيسر مما علمني الله من الأدعية والآيات، وسبحان الله القادر الكريم، فقد بدأت ملامحها تسكن، والانقباض ينزاح عن محياها شيئا فشيئا، حتى سكنت تماما وزال الألم، وعادت إليها بسمتها الرائعة، فتجمعت النساء السريلانكيات حولي وهن بصيغ تعبيرية شتى يعربن عن امتنانهن لي، الشيء الذي جعلني أستشعر الحرج البالغ وأنا التي ما أوتيت من العلم إلا قليلا، أما عن مقامي عند الله عز وجل فما كنت أرى في نفسي إلا كائنا قزميا بالغ الصغر والمكانة إلا أن يتغمدني الله برحمته.

ومساء سيبلغ الحرج مداه إذ فاجأتني صاحبة البيت الكبير وهي تحضر مجموعة كبيرة من الأطفال وتحمل دلوا من الماء وستطلب مني بحياء وأدب جم آسر أن أقرأ في الماء من كتاب الله عز وجل، وما تيسر من الأدعية ليشرب منه ذلك الفوج من الصغار ودون انتظار لرد فعلي بدأت تدفع بهم إلي ليسلموا علي طمعا في دعائي لهم، ووجدتني أحشر في مربع تطبيب إجباري ذكرني بالأم تريزا المسيحية، والأدهى أن قدرتي على دفع هذا الشرف العظيم لم تكن واردة البتة

فمن جهة لم تسعفني اللغة الإنجليزية لتبليغهن بعجزي عن القيام بهذه المهمة،

ومن جهة أخرى لم يكن بمستطاعي أن أخيب ظن هذه الوجوه الدافقة طيبوبة وعفوية.

ولم يسعفني إلا خيار استجماع كل طاقة التوسل الخاشع لله عز وجل واستدرار رحمته ليرزقهم العافية المثلى نظير نيتهم العظيمة التبجيل لكل من يمتون للإسلام بصلة.

ترى كيف نبت وترعرع هذا الحب الدافق للإسلام في قلوب هؤلاء الناس؟؟

لم يكن شخصي ولا شخص إخواني وأخواتي في مجهودنا هذا البسيط لتبليغ دعوة رسول الله ﷺ هو الذي جيش هذا الالتفاف حولنا، لقد زرع الصادقون على مر تاريخ الجهد الدعوي، ثمار الكلمة الطيبة بالتي هي أحسن،ومن أجلها قادوا سفينة الخلاص، سفينة نوح المبحرة في لجج الانكسارات لاستنقاذ حيارى سفينة تيتانيك من غرق محقق، وها نحن نجني هذه المبايعة لله ولرسوله ﷺ، ونرى عيانا هذا الانهمار والهرولة لسماع واقتناص الدعوة صغارا وكبارا، ومبهورين بالقطاف نرى يوما عن يوم سفينة نوح تستضيف الأفواج الهائلة من الآئبين الناجين ولله الحمد.

وفي حلقة قادمة بإذن الله، سنواصل حديثنا عن هذا الحصاد الوارف فابقوا معنا.

آيبون... تائبون!

9- دمعها غال!

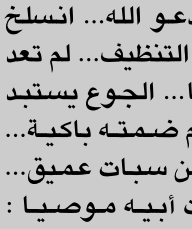

ذة. نبيلة عزوزي

تنتحب... طردتها مشغلتها شامتة، بعد أن اذاقتها كل صنوف الذل والقهر... من يصدق أن أمه خادمة في البيوت، وقد كانت قبل ترملها - معززة مكرمة في كنف أبيه التاجر الكبير؟!

ترك أبوه ثروة كبيرة لكنه تنافس وأخوه في تبذيرها في الليالي الحمراء... خمر وعربدة وقمار... كانا يظنان أن أحبتهما كثر، يلتفون حولهما... لكنهم سرعان ما انفضوا من حولهما، حين خسر كل شيء في لمحة بصر... ولم يتبق لهما سوى البيت، وهو من نصيب أمهما وأخواتهما المتزوجات... وكم حاول بيعه إلا أن أمه سحبت منه التوكيل...!

أصبحا مدمني مخدرات وعالتين على أمهما... ينامان ليل نهار... تعود منهكة آخر النهار تحمل لهما ما فضل عن موائد مشغليها، والويل لها إن لم تعطهما ثمن شراء الدخان والمخدرات...!

الأم تنتحب... تدعو الله... انسلخ جلدها من فرط مواد التنظيف... لم تعد لهما بطعام كعادتها... الجوع يستبد به... رجته رجا ، ثم ضمته باكية... انتفض كأنه آفاق من سبات عميق... جلجل بداخله صوت أبيه موصيا : أنت الأكبر... أنت رجل الدار ....اتق الله في تجارتك... أمك أمانة في رقبتك... كن بمثابة الأب لأخواتك...!

بكى، فكيف يضيع ثروة هائلة؟ وكيف يضيع الأمانة؟

لم ينم ليلتها... فقرر التوبة... خرج فجرا، ليعمل حمالا في السوق، لكن الألسنة الشامتة لم ترحمه... رحل بعيدا... اقسم على أمه ألا تعمل... عمل كثيرا... ولأنه خبر التجارة مع أبيه فقد أصبح تاجرا... ما يحز في نفسه ليس أنه لم يستطع تعويض ثروة أبيه، ولكنه لم يستطع انتشال أخيه من الإدمان والضياع...!

استعمالات اللغة العربية الجديدة إلى أين؟

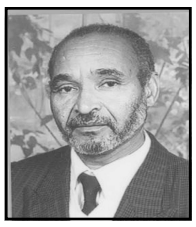

11– الاستعمالات الخاطئة تفقد اللغة قيمتها التعبيرية:

قل، ولا تقل، ثم تنبه لمِا كنت تقول

د. الحسين گنوان

حاولنا في وضع العنوان العام لهذه التنبيهات، وما عرضناه من تصويب حتى الآن؛ ألا نستعمل أية كلمة أو عبارة تجرح المشاعر، لأننا نعتقد أن الذين يخطئون في استعمالات اللغة العربية من أبناء أمتنا، لا يفعلون ذلك قصداً بسوء نية، وإنما فرضت عليهم ظروفهم أن لا يتعلموا لغتهم القومية بالمستوى المطلوب مما جعلهم يرتكبون الأخطاء المشار إليها في هذا المحور حتى الآن، واستمراراً في التنبيه على مثل ما مضى من الأخطاء، نقترح أن نصحح ما سيأتي من الأخطاء بعبارة : "قل ولا تقل.." كما أوردناه في العنوان الفرعي أعلاه، اعتقاداً منا أيضا أن كل متتبع لهذه التصويبات سيراجع نفسه –إن كان من الذين يعنيهم الأمر– لتصحيح ما ينطقه خطأ، بل سيدعو غيره لذلك.

وبعد هذا التقديم : نعرض مجموعة من الكلمات متتابعة بعنوان قل ولا تقل، ثم نفصل القول في كل منها كما وردت مصححة في المعاجم وكتب اللغة، ومن هذه الكلمات ما يلي :

1– قل الفِرق بكسر الفاء وفتح الراء، ولا تقلَ الفُروق بضم الفاء والراء، إذا كنت تعني جمع عدد من المجموعات في صيغة واحدة كفِرقة التمثيل، أو فِرقة الألعاب، أو فَرقة المطافئ، أو فرقَة كرة القدم، فكل فِرقة مما ذكر يجمع على فِرَق بكسر الفاء وفتح الراء. يقول ابنُ دريد «وفِرْقة من الناس والجمع فِرق»(الجمهرة 400/2 ع1 س22).

أما إذا قلت : الفروق بضم الفاء والراء (ممدودة) وهو ما نسمع أن بعض الناس يستعملونه خطأ بدل (الفِرق). إذا استعملت هذه الكلمة (الفَروق) فإنك تعني «الفَرْق الذي هو خلاف الجمع، أو التميز بين أمرين. في المعجم الوسيط : «الفرق بين الأمرين : المميز أحدهما من الآخر.. والجمع فُرُوق» وثمة بعض الكتب التي تتحدث عن الفروق بين الكلمات المتقاربة المعنى مثل كتاب الفروق للقرافي، ومما ورد فيه على سبيل المثال «الفرق الأول بين الشهادة والرواية» ابتدأت بهذا الفرق بين هاتين القاعدتين، لأني أقمت أطلبه نحو ثمان سنين فلم أظفر به، وأسأل الفضلاء عن الفرق بينهما، وتحقيق ماهية كل واحدة منهما فإن كل واحدة منهما خبر، فيقولون : الفرق بينهما أن الشهادة يشترط فيها العدد والذكورية والحرية بخلاف الرواية فإنها تصح من الواحد والمرأة والعبد..».

ومما ورد أيضا في هذا السياق قوله : «سمعت بعض مشايخي الفضلاء يقول : فرَّقت العرب بين فرَق بالتخفيف، وفرَّق بالتشديد : الأول في المعاني والثاني في الأجسام، ووجه المناسبة فيه أن كثرة الحروف (في فرّق بالتشديد) عند العرب تقتضي كثرة المعنى أو زيادته، أو قوته، والمعاني لطيفة، والأجسام كثيفة فناسبها التشديد، وناسب المعاني التخفيف (أي فرَق).. (الفروق للقرافي 4/1). هذا نموذج من معنى الفروق الذي يستعمله البعض مكان «الفِرَق» الذي مفرده فِرقة.

وبما أن العنوان الفرعي «قل ولا تقل..» يدعونا إلى التأمل فيما كنا نقول، فإننا ندعو القارئ الكريم ممن كان يرتكب هذا الخطأ الذي هو استعمال لـ«فروق» بدل «الفِرق» أن يتأمل جيداً علاقة ما كا نَ يقوله بواقع الأمة : أفراداً، وجماعات، وأقاليم، ذلك أن المعنى الذي يمكن أن نستفيده لو نطقنا صوابا الفِرق هو الجمع، لأن كلمة «فِرقة» مفردة. وعندما تتعدد مثلَ : فرقة وفرقة وفرقة تجمع على (فِرق) في كلمة واحدة، وكذلك **مكونات الأمة اليوم، فهي عبارة عن مفردات تحتاج إلى الجمع والاتحاد هذا في حين أن ما تم التعبير به خطأ بدلا من هذا المعنى الذي يفيد الجمع هو «الفروق» الذي هو جمع فَرْق، ويرمز إلى التشتت والتفرقة، وذاك حال الأمة جمع الله شملها آمين.**

هذا إذا وقفنا عند هذا المعنى فقط لكلمة «الفروق» وعلاقته بحال الأمة. أما إذا تجاوزناه إلى معان أخرى فإننا سنلاحظ أن تلك المعاني ترمز إلى جوانب من أحوال الأمة بنصيب مّا، ونورد هذه المعاني كل واحد منها بعنوانه الذي يدل عليه في سياقه، ثم نعلق عليها إجمالا بإذن الله تعالى ومنها : الفروق :

أ– اسم موضع، يقول ابن منظور : «والفُروق : موضع في ديار بني سعد، أنشد رجل منهم :

لا بَارَك الله على الفُروق
ولا سقاها صائب البُرُوق

(ل ع10، مادة فرق، والجمهرة لابن دريد 400/2 ع1 س1).

ب– ألم المخاض : يقول الخليل : «والناقة إذا مُخضت تفرق فُروقاً، وهو نِفاؤها وَذهابها نادّةً من الوجع...»(العين 1485).

وفي هذا السياق يقول ابن منظور «والفارق من الابل التي تفارق إلفها.. وقيل هي التي أخذها المخاض فذهبت نادّة في الأرض... وقد فرقت تفْرُق فروقا.. ل ع10 مادة فرق.

فالملاحظ أن كلمة «الفروق» جاءت اسم موضع، لكن هذا الموضع محسود من لدن الشاعر لسبب ما، ولذا فهو مدعو عليه بعدم السّقيا بصائب البُروق، هذا مع العلم أن السقيا مصدر الحياة. قال الحق سبحانه : ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾(الأنبياء : 30)، والذي يُمنع السّقيا يُمنع من كل خير. ولعل هذا الجانب واضح بالنسبة لدول العالم الثالث ومنها الأمة العربية الإسلامية. ولذا فالمعنى الثاني (ب) لكلمة «الفروق) الذي هو ألم المخاض، لا يحتاج إلى نقاش فالأمة تعيش ألماً حاداً نتيجة المخاطر المحدقة بها. وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى دليل، وهو ما يتجلى في المعنى الأخير الذي أوردناه لكلمة «الفروق» يقول : ابن منظور : «يقال فرَق لي هذا الأمر يفْرُق فُروقاً إذا تبين ووضح..» (ل ع10 مادة فرق).

تلك هي دلالات كلمة «الفروق» التي تستعمل مكان كلمة «فِرق»، ولكل منهما مجالها الذي تستَعمل فيه. والخطأ واضح عند من يتحدث عن مجموعات كرة القدم ويستعمل جمع فروق، وأحيانا نسمع الفروق البرلمانية وهذا خطأ يخرجنا من مجال إلى آخر، اللهم أصلح ألسنتنا ونبهنا لعيوبنا آمين.

عصر الذرة والتفكيك والاستنساخ (تتمة)

فلسطين= 2 دول ...)، في حين يحرص الكبار على وحدتهم أكثر ولا يسمحون بالتطاول عليها حتى في الأحلام، ويعاقبون على الجرم صغيرا كان أم كبيرا حصل أم لم يحصل بعد، حتى لو كان مصطنعا (سياسة الحرب الاستباقية، والحرب على الإرهاب، والحروب بالوكالة، و افتعال النزاع والمشاكل للآخرين)، بل ويحمون وحدتهم وقوتهم بجميع أنواع التكتل والتحالف السياسي والأمني والعلمي والاقتصادي والقانوني...

فمن يصدق بعد هذا أننا نعيش عصرنا، وعصر الذرة والهندسة الوراثية، عصر القوة العلمية والاقتصادية والسياسية والفكرية والاستشرافية؟! من يصدق أننا نعيش التكنولوجيا الرقمية والتحكم عن بعد حقيقة؟!

ومن ذا يصدق أننا نمارس الديمقراطية ونحسن تدبير الاختلاف بيننا في إطار الأخوة والاستقلال والحفاظ على المصالح العليا للأمة؟!

لن نصدق بذلك حتى نصير كبارا ونمتلك أسرار الذرة ومفاتيح العلوم، ونصبح نحن الذين نهندس المادة الجامدة والحية وننفخ روح الحياة في أمتنا، ولن نصدق حتى نمتلك نظام هندسة الفرد وتنميته التنمية الصحيحة كما أمر الله عز وجل وكما طبقه رسول الله ﷺ صحابته رضوان الله عليهم، ثم هندسة المجتمع على الخير والعدل فالدولة فالعالم. وما ذلك على الله بعزيز إذا خلصت النوايا وصدقت العزائم، وتكاثفت الجهود على تحقيق هذا الخير الموعود، وعاد جميع العبيد بصدق إلى عبادة الله المعبود بحق.

بِنَبْضِ القلب

بين المغرب والجزائر

آلمتني أحداث العيون كباقي أبناء هذا الوطن العزيز، وآلمني أكثر التدليس الإعلامي الذي صاحبها من قبل أعداء وحدتنا الترابية، وإذا كان الكل قد وقف على حقيقة الأوضاع بعد كشف الزيف والبهتان الذي نشرته وسائل الإعلام الإسبانية والجزائرية، فإني أحيل القارئ الكريم على أشياء جميلة عشتها وأنا أؤدي فريضة الحج، ففي غمرة الحشود التي تملأ جنبات مكة المكرمة وباحات الحرم الشريف، صادفت عدة جنسيات من بينها إخوة لنا من الجزائر والذين كانت لي معهم حوارات ونقاشات، ولازلت أحتفظ بأمثلة منها كدليل على أن ما يقع من طرف حكام الجزائر لا يعبر البتة عما يكنه الشعب الجزائري تجاه أبناء المغرب... في المدينة المنورة وفي قلب المسجد النبوي جلست بجانب أحد الإخوة، كان رجلا في عقده الخامس، ومن كلام لهجته عرفت أنه جزائري مقيم في فرنسا، وبعد أخذ ورد في الحديث عبر لي عن حبه للمغرب وهو ما دفعه أن يزوج إحدى بناته لمغربي مقيم في فرنسا ينحدر من مدينة مراكش، وقد ختم لقاءه معي بكلمة واحدة (الله يهدي حكامنا ويفتحوا الحدود مع المغرب)..

في أحد الأسواق بمكة التقيت شابين جزائريين، وبينما نحن نشتري بعض الخضر والفواكه التفت إلى زوجتي مبديا بعض الملاحظات عن أسعار الخضر مقارنة مع المغرب، فالتفت إلي أحد الشابين متسائلا :

– الأخ من المغرب

– نعم

فرد مبتسما :

–أخوك من الجزائر، ثم استطرد من غير رابط، عندما كانت الحدود مفتوحة معكم في أيام الشاذلي بن جديد لم نكن نتكبد الهم للخضر والفواكه التي كانت تغرق أسواقنا بأثمنة مناسبة، واليوم فإننا نعاني الأمرين للحصول على علبة طماطم، ثم ختم حديثه تقريبا بنفس العبارة التي ختمها بها ذلك الجزائري الذي التقيته بالمسجد النبوي...

بعد صلاة العشاء في المسجد الحرام، وعندما كنت أهم بمغادرته تجاه الفندق الذي أقيم فيه، لفت نظري امرأة شابة تبكي وقد بدأ الخوف في عينيها، فسألتها عن مشكلتها : ففهمت أنها تاهت عن زوجها وأنها لا تعرف كيف تعود إلى مقر إقامتها، كانت المرأة جزائرية من مدينة : شلف، فطلبت من زوجتي أن تعود إلى الفندق فيما تكلفت أنا بإيصال تلك السيدة إلى مقر بعثة الحج الجزائرية، وفي مقر البعثة استقبلني الإخوة الجزائريون ولاسيما بعد معرفتهم أني مغربي –بحفاوة بالغة– وأشعروني بأننا والجزائريون شعب واحد، ولا يمكن لأي شيء أن يحول بين شعبينا.. **«ذا هو الشعب الجزائري، فماذا يريد حكامه من المغرب؟**

وما فائدة الزج بالجزائر وإمكانياتها في مناورة فاشلة لا يجني منها أبناء الجزائر سوى الهباء... فهل يعقل أن يعيش أبناء الجزائر في شظف العيش، ويركبون قوارب الموت في حين أن أموال الجزائر من النفط والغاز الطبيعي تهدر في الإنفاق على التسلح، ودعم مليشيات إرهابية لزعزعة استقرار المغرب.. إنه الحمق بعينيه؟!!!.

ذ. أحمد الأشهب

ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم

أ. د. عماد الدين خليل

كثيراً ما يتساءل المسلم عن الحكمة وراء عدم توحد البشرية.. عن السبب في تغايرها.. واختلافها وما يقود إليه هذا التغاير والخلاف في الأصول والاعتقادات والأهواء.. من فتن وحروب، وما يهدر فيه من طاقات ويسفك من دماء..

والجواب هو أنه بدون تغاير وتمايز يعقبان خلافا وصراعا لا يمكن أن تتحرك مياه الحياة البشرية، فلا تركد ولا تسكن وتحفظ بذلك قدرتها على الجودة والنقاء..

إن الإرادة الحرة، والاختيار المفتوح اللذين منحا الإنسان فرداً وجماعة، للانتماء إلى هذا المذهب أو ذاك، يقودان -بالضرورة- إلى عدم توحد البشرية وتحولها إلى معسكر متشابه واحد أو أرقام في جداول رياضية صماء.. إن قيمة الحياة الدنيا وصيرورتها الحضارية الدائمة تكمن في هذا الصراع القائم بين كتل البشرية المختلفة المتضادة الموزعة.. وإن حكمة الله شاءت حتى بالنسبة للكتلة أو المعسكر الواحد أن تشهد انقساماً وتغيراً وتنوعاً وصراعاً.. هذه هي طبيعة العلاقات البشرية ما دامت تمارس حريتها في الأخذ والعطاء، وتلك هي إرادة الله المسبقة في أن تكون حياة الناس مغايرة نوعياً لحياة الخلائق الأخرى الأعلى مرتبة أو الأدنى سلّما.. إن القرآن الكريم يحدثنا عن هذا التغاير الذي يقوم عليه الصراع البشري في أكثر من صورة ووفق أشد الصيغ واقعية ووضوحاً ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة، ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير﴾(الشورى : 8) ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مومنين﴾(يونس : 99) ﴿لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه، فلا ينازعنك في الامر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم﴾(الحج : 67) ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون﴾(النحل : 93) ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم !!﴾(هود : 118- 119) ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات﴾(المائدة : 49) ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض.. ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات، ولكن اختلفوا، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾(البقرة : 253).

بل إن القرآن الكريم، انطلاقا من واقعيته ورؤيته النافذة، يبين في أكثر من موضع أن الأكثريات البشرية تقف دائماً بمواجهة الحق الذي لا تنتمي إليه إلا القلة الطليعية الرائدة، نظراً لما يتطلبه هذا الانتماء من جهد وتضحية وعطاء دائم لا يتقبلها الكثيرون ﴿بل جاءهم بالحق، وأكثرهم للحق كارهون﴾(المومنون : 70) ﴿لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون﴾(الزخرف : 78).. إلا أن مصادر القوة والطاقة في صراع الحق والباطل لا تكمن -كما يعلمنا القرآن- في التباين العددي، وهو تباين كمي لا يقاس بالتباين النوعي الحاسم بين معسكري الإيمان والكفر ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾(الأنفال : 65).

وكثيراً ما يكون اختلاف الألسنة والألوان -الذي هو بحدّ ذاته صيغة من صيغ الإبداع الإلهي المعجز- والذي يعقبه تغاير الثقافات والقوميات، أحد العوامل الكبيرة التي تكمن وراء الصراع البشري المحتوم، ومن ثم يذكرنا القرآن به ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون.. ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين﴾(الروم : 19 : 22)..

أما عن الهدف من وراء هذا التغاير البشري الذي يعقب تناقضاً فصراعا فتحركا، فإن القرآن يجيبنا عن كل سؤال يمكن أن يبرز في هذا المجال ﴿ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز، الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور﴾(الحج : 40- 41) ﴿ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾(البقرة : 251).. تلك هي القاعدة الأساسية.. إن هذا التدافع والصراع المركوز في جبلة بني آدم يقود إلى تحريك الحياة نحو الأحسن، وتخطي مواقع الركود والسكون والفساد، ومنح القدرة للقوى الإنسانية الخيرة في أن تشد عزائمها وتصقل قدراتها المقاومة الصاعدة في غمرة التحديات المتعاقبة التي يطرحها الصراع، وأن تسعى لتحقيق المجتمع المؤمن الذي ينفذ أمر الله في العالم وفق القاعدة الإيمانية العريضة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) على امتداد هذه القاعدة..

وثمة آيات أخرى تبين لنا كيف يكون الصراع ميداناً حيوياً للكشف عن مواقف الجماعة البشرية، والتعرف على أصالة المؤمنين. ففي جحيم المعارك وعلى وهجها المضيء يتضح الذهب من التراب ويتميز الطيب من الخبيث، وتتحول التجربة إلى منخال كبير يسقط -وهو يتحرك يميناً وشمالاً- كل الضعفة والمنافقين والعاجزين والمترددين في مواصلة الدرب المصير المرسوم ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب، ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾(الأنفال : 38) ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾(التوبة : 16) ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾(محمد : 31).

إلا أن القرآن وهو يتحدث عن الصراع الناجم عن التغاير البشري في المذاهب والأجناس واللغات والبيئات، لا يقصر المسالة على التقاتل والتدافع إنما يمدها إلى مساحة أوسع ويعطي للصراع البشري آفاقاً بعيدة المدى، تبدأ بإشهار السلاح وتمتد لكي تصل الموقف الأكثر إيجابية والذي يجعل هذا التغاير البشري سببا لعلاقات إنسانية متبادلة بين الأمم والأقوام والشعوب تسعى للتقارب والتعاون والتعارف مع بقاء كل منها على مذهبه، أو جنسه، أو لونه أو لغته أو بيئته ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير﴾(الحجرات : 13).

رحيل رائد العمارة الإسلامية

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ ﴿كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾

تلقينا ببالغ الأسى والحُزن نبأ وفاة أخينا الفاضل المهندس المعماري عبد اللطيف الحجامي ابن العالم الجليل المجاهد أحمد الحجامي رحمهما الله تعالى وأسكنهما فسيح رضوانه، وذلك يوم الثلاثاء 8 محرم 1432 الموفق 2010/12/14 بعد مرض عضال.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة المحجة بتعازيها الصادقة إلى زوجته الكريمة وأبنائه وإخوانه وأخواته وأصهاره، وإلى كل أفراد العائلة وإلى أصدقائه ومحبيه، سائلين الله عز وجل أن يقابله بعفوه ومغفرته وأن يحشره مع الصالحين ويرزق أهله وذويه الصبر الجميل كما نسأله تعالى أن يحيينا من بعده مسلمين مومنين ويلحقنا به تائبين طائعين.

بارقة

المغرب العربي والمستقبل المزدهر

أ.د. عبد السلام الهراس

رحم الله المخلصين من زعماء المغرب الإسلامي الذين جاهدوا خلال قرون لتحرير بلادهم بدافع صادق ونية خالصة وقد أظهرت شعوب هذه البلاد من أنواع التعاون والتكافل والتضحيات ما يجب تسجيله وتركه تراثا عظيماً للأجيال الحاضرة والآتية تستلهم منه معالم مستقبلها ومصادر عزتها ودوافع حركاتها وسكناتها وغايات جهودها. ولقد سجل التاريخ البعيد و القريب مفاخر لهذه الرقعة من العالم العربي والإسلامي يوم كانت الدوافع والأجواء التربوية قائمة على أساس الإسلام، وكانت القيادات تستهين بالتضحيات الجسام في سبيل تحرير بلادنا من المستعمر للانطلاق نحو المستقبل العظيم الذي يناسب تاريخنا العريق ومبادئ ديننا السامية التي توجب علينا التعاون على البر والتقوى والتناصح الصادق والتخلي عن كل ما يعوق توحيد المسلمين وتيسير الاتصال وتوثيق التآخي وإشاعة أجواء المحبة والتفاهم وتبديد سوء الظن وانحراف النوايا وإيثار المصلحة العامة والعليا التي تبني ولا تهدّم، تُوحّد ولا تفرق... إن أمامَنا أوربا التي كانت بالأمس القريب تستعمرنا تعمل منذ الحرب العالمية الثانية لتأسيس دولة واحدة على غرار الولايات الأمريكية المتحدة لتقضي على أسباب النزاعات والحروب التي كانت آخرها الحرب العالمية الثانية وها نحن نرى هبّة أوربا كلها لحل أزمة البرتغال أما نحن الذين نرفع رسميا واسميا راية الإسلام لا تزداد الحدود إلا ارتفاعاً واتساعاً ولا يزال التباعد والتباغض إلا تعميقاً وتعميماً مع اقتناع الجميع أن الوحدة أو التعاون الصادق في هذه المنطقة سيعود علينا جميعا بالخير العميم والنفع العظيم والمستقبل المزدهر واختفاء عوامل التخلف.

كم يأسف الإنسان عندما يسمع تصريحات ناشزة ويرى تصرفات رَعْناء ليست في صالح هذه المنطقة التي تتمتع بعوامل عظيمة للوحدة والبناء والتعاون والتقدم مما يدل على فساد بعض القيادات التي تعوق المستقبل الزاهر الذي كنا نتشذق به أيام الحكم الاستعماري الذي وحّدنا سنين طويلة.

فاللهم أصلح أحوالنا وولِّ علينا خيارنا واكفنا شرارنا واجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، آمين.